كلية الدعوة والإعلام
وكالة الكلية للدراسات العليا والبحث العلمي
قاعة الرسائل العلمية
نسخة الاعارة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ..
كلية الدعوة والإعلام

# الاتجاهات الدينية في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي

بحث مكمل لدرجة الماجستير
في الدعوة والاحتساب

إعداد
يوسف بن عبد الله الحاجي

إشراف
الدكتور/ يوسف أحمد أبو هلاله

١٤٠٥ ـ ١٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين الذى هدانا للإيمان وما كنا لنهتدى لـــولا أن هدانا الله .. الحمد لله القائل (( إِنِّي خَلَقْتُ عبادي كُلَّهُمْ حُنَفاءَ )) وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلـــى آله وصحبه أجمعين وعلى من نهج نهجه وسلـــك دربه إلى يوم الدين .. آمين .. أما بعد :

فلقد تناول الكثير من المؤرخين والأدباء من المسلمين وغيرهم الحديث عن العصر الجاهلى فمنهم من ذم العرب وأوصلهم الى أدنى درجـــات الانحطاط الدينى والعلمى ووصفهم بألفاظ لاتليق بهم وأعمى عينيه عن كل حسناتهم وعاداتهم الحسنة كالكرم والعفة والافتخار بالشجاعة ونصرة المظلوم وغير ذلك . ومن المؤرخين من رفع العرب إلى أعلى الدرجات ووصفهـــم بصفات لايستحقونها وذلك ماسأتطرق إلى الحديث عن بعضه فى معـــنى الجاهلية -إن شاء الله تعالى- .

وفى بحثى هذا سأتناول -إن شاء الله - جانباً واحداً من جوانـــب حياتهم ألا وهو الجانب الديني ، وسبب اختيارى لهذا الموضوع هو قلـــة حصيلتي عن هذا الجانب من الحياة العربية الجاهلية فقبل الخوض فـــى هذا البحث كنت أظن أن حياة العرب كانت حياة وثنية صرفة ولم أكـــن أتوقع وجود ديانات غير اليهود الذين اشتهر ذكرهم فى منطقة يثـــرب.

وأردت بذلك أن أسهم فى جمع هذا الجانب فى مكان واحد حيث أن كتب التاريخ عندما تعرضت له وكذلك كتب الأدب لم تتعرض له إلا بصـورة

استثنائية مختصرة جداً .

وإني اعتمدت فيه المنهج التاريخي فكنت أتتبع سير الأحـــــداث التاريخية وكنت كذلك أسرد الآراء في مكان واحد ثم أناقشها وأدلي بدلوي فيها وكثيراً ماكنت أستدل بالقرآن الكريم والسنة النبوية والشعر الجاهلـــي كلما توفر ذلك .

ولقد اعتمدت على مراجع تاريخية وأدبية أثبتُّها في خاتمة هـــــذا البحث .

وكنت أتمنى أن أتوسع في هذا البحث أكثر مما هو عليه الآن لكـــنَّ ضيق الوقت كان الصعوبة الرئيسية التي واجهتني فيه حيث أنني كنت فـــي العام الماضي قد سجلت موضوع "التنصير في منطقة الخليج العربي" وبعد أن قطعت فيه شوطا لابأس فوجئت بإلغائه ولم أتمكن من تسجيل موضوع آخـــر إلا مطلع هذا العام أي قبل أقل من أربعة أشهر من الآن وهذه الفـــترة الزمنية قصيرة لان يقدم الطالب فيها بحثاً منهجياً متكامل الجوانـــب وإن كان في هذا البحث من نقص فيرجع الى ضيق الفترة الزمنية .

وقد قسمت هذا البحث إلى بابين وخاتمة وكل باب تحته فصـــــول ومباحث ومطالب حاولت فيها أن استوفي ما أتعرض اليه من غير إيجـــــاز مخل ولا تطويل ممل .. والله أسأل التوفيق والسداد .

## خطـــة البحـــــث

* الباب الأول : تمهيـــد .
  - الفصل الأول : حول الجزيرة العربية .
    - المبحث الأول : موقعهـــا .
    - المبحث الثانى : حدودها .
    - المبحث الثالث : المنـــاخ .
  - الفصل الثانى : العصر الجاهلى .
    - المبحث الأول : تحديده .
    - المبحث الثانى : معنى الجاهلية .
  - الفصل الثالث : الشرك والتوحيد فى الجزيرة العربية .
  - الفصل الرابـــع : حالة العرب السياسية .
    - المبحث الأول : صورة لحياتهم السياسية .
    - المبحث الثانى : أنظمة الحكم فى الجزيرة العربية .
    - المبحث الثالث : التحالف وفيه مطالب .
      - المطلب الأول : تعريف الحلف .
      - المطلب الثانى : دوافع التحالف .
      - المطلب الثالث : تقاليدهم فى الحلف .
      - المطلب الرابع : مايترتب على الحلف .
      - المطلب الخامس: إعزازهم للحليف .
    - المبحث الرابع : معنى اليوم فى الشعر الجاهلى .

- الفصل الخامس : تعريف الدين .
- المبحث الأول : تعريفه عند اللغويين .
- المبحث الثاني : تعريفه اصطلاحاً .

* الباب الثانـي : أديان العرب .
- الفصل الأول : اليهودية في الجزيرة العربية .
- المبحث الأول : اليهودية في يثرب وما جاورها .
- المطلب الأول : تاريخ دخول اليهود يثرب .
- المطلب الثاني : أشهر قبائلهم .
- المطلب الثالث: حالتهم السياسية .
- المطلب الرابع : حالتهم الاجتماعية .
- المطلب الخامس: حالتهم المعيشية .
- المطلب السادس: علاقتهم بجيرانهم من العرب .
- المطلب السابع : هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب .
- المطلب الثامن : فتنتهم بين الأوس والخزرج .

- المبحث الثاني : اليهود في اليمن .
- المبحث الثالث : أشهر شعراء اليهود في العصر الجاهلي .

- الفصل الثاني : النصرانية في الجزيرة العربية .
- المبحث الأول : تاريخ دخول النصرانية جزيرة العرب .
- المبحث الثاني : أسباب انتشارها .
- المبحث الثالث : أماكن تواجد النصارى قبل الإسلام .

- المطلب الأول : النصرانية فى يثرب .
- المطلب الثانى : النصرانية فى حضر موت .
- المطلب الثالث: النصرانية فى البحرين .
- المطلب الرابع : النصرانية فى اليمامة .
- المطلب الخامس : النصرانية فى مكة المكرمة .
- المبحث الرابع : القبائل التى دخلتها النصرانية .

- الفصل الثالث : الحنيفية .
- المبحث الأول : معنى الحنيفية .
- المطلب الأول : عند اللغويين .
- المطلب الثانى : فى الإصطلاح .
- المبحث الثانى : أشهر الحنفاء .
- الفصل الرابع : الوثنية .
- الفصل الخامس : ديانات متفرقة .
- المبحث الأول : الدهريون .
- المبحث الثانى : عباد الشمس .
- المبحث الثالث : عباد القمر .
- المبحث الرابع: عباد الكواكب .
- المبحث الخامس : الملائكة .
- المبحث السادس: الجن .
- المبحث السابع : المجوسية .

- المبحث الثامن : الزنادقة .

- المبحث التاسع : الصابئة .

* الخاتمـــــة .

# الباب الأول

## الفصل الأول

## الجزيرة العربية

# الفصل الأول

## الجزيرة العربية

### المبحث الأول :

### الموقع

تقع الجزيرة العربية في أقصى جنوب غرب قارة آسيا ، وقد أطلق عليها العرب اسم جزيرة مع أنها محاطة بالمياه من ثلاث جهات فقط " وهي تسمية فيها تجوز علمي ظاهر "[1] .

وذكرت عدة أسباب لهذا التجوز في التسمية ، وأحد هذه الأسباب هو وجود نهر الفرات في شمال الجزيرة حيث يبدأ قريبا من شواطيء البحر الأبيض المتوسط ، ويصب في الخليج العربي ، قال ابن القيم رحمه الله :

" قال الخليل إنما قيل لها جزيرة العرب لأن بحر الحبش وبحر فارس والفرات قد أحاطت بها ونسبت إلى العرب لأنها مسكنها ومعدنها "[2] .

ويذكر كذلك سبب آخر وهو أن سكان هذه المنطقة من العرب ، ويحدهم من الجهات الأخرى مجموعات بشرية أخرى[3] .

---

(١) العرب في العصور القديمة ص : ٨٩ - لطفي عبدالوهاب يحيى - دار النهضة - بيروت ط ٢ سنة ١٩٧٩ م .

(٢) أحكام أهل الذمة - لابن القيم (١٧٨/١) ، دار العلم للملايين - بيروت - ط ٢ سنة ١٤٠١ هـ .

(٣) العرب في العصور القديمة - ص : ٨٩ بتصرف .

وإني أرى هذا السبب الأخير غير كاف ، ولا علاقة له بتسميتها جزيـــرة .

## المطلب الثانـــي

## حدود جزيـــــرة العـــرب

إن جزيرة العرب معروفة الآن لدينا جميعاً ومعروفة في علـــم الجغرافيا بأنها المنطقة الواقعة ما بين البحر الأحمر غربا والخليـــج العربي شرقاً ، وما بين المحيط الهندي جنوباً وأطراف الشام شمالاً .

أما تحديد علمائنا الأوائل رحمهم الله فنأخذه من نصوصهـــم ، " قال الأصمعي وأبو عبيد : من ريف العراق إلى عدن طولاً ، ومن تهامة ومـــا ورائهـــا إلـــى أطـــراف (١)

---

(١) تهامة : هي جبال مشتبكة أولها في البحر القلزمي - الأحمر - ومشرفة عليها وحدودها في غربيها بحر القلزم وفي شرقيها جبال متصلة من الجنوب الى الشمال .... وفي شرقيها مدينة صعـــدة وجرش ونجران وفي شمالها مكة وجدة ، وفي جنوبها صنعـــاء وسميت تهامة لتغير هوائها .

الروض المعطار للحميري ص : ١٤١ - تحقيق د . إحســـان عباس مكتبة لبنان - ط ٢ سنة ١٩٨٤ م .

" وقيل تهامة ما بين ذات عرق إلىٰ مرحلتين من وراء مكـة لسان العرب - لابن منظور (٧٣/١٢) دار صادر بيروت .

والجبال المتصلة التي يقصدها الحميرى هي سلسلة جبـال السروات التي تمتد من تركيا شمالاً إلىٰ اليمن جنوباً وأهـــم مدن تهامة - جدة - ومكة - الليث - القنفذة - جيزان ، وفـــي اليمن : الحديدة - ومخا - وزبيد . راجع تاريخ العرب في العصر الجاهلي - د . السيد عبد العزيز سالم - ص : ٩٩ . دار النهضة العربية بيروت ١٩٧١ م .

الشـــام عرضـــا [1] .

وقال أبو عبيدة [2] : هي من حفر أبي موسى إلـى اليمـن طـولاً

ومـــن رمـــل يبرين [3] إلـــى منقطـــع

---

(١) أحكام أهل الذمة - لابن القـيم (١/١٧٧) ، ونحوه في شرح السنة للبغوي (١١/١٨٢) المكتب الإسلامي ط ٢ سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) حفر أبي موسى : وهي ركايا احتفرها أبو موسى الأشعـري رضي الله عنه على جادة البصرة إلى مكة ، وهي بعيدة الأرشية يستقى منها بالسانية وماؤها عذب ، وقال أبو عبيد السكونـي : مياه عذبة على طريق البصرة من النباجي بعد الرقمتين وبعـده الشجي لمن يقصد البصرة وبين الحفر والشجي عشرة فراسـخ ، ولما أراد أبو موسى الأشعري حفر ركايا الحفر قال : دلونـي على موضع بئر يُقطع بها هذه الغلاة ، قالوا : هي بجة تنبت الأرض بين فلج وفليج ، فحفر الحفر .
أنظر : معجم البلدان - لياقوت الحموي ( ٢/٢٧٥ ) ، ولسـان العرب ( ٤/٢٠٤ ) .

(٣) يبرين : بالفتح ثم السكون وكسر الراء وياء ثم نون ... وقيـل هو رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة وقال السكري : يبرين بأعلى بلاد بني سعد ، وفي كتاب نصـر من أصقاع البحرين به منبران ، وهناك الرمل الموصوف بالكثـرة بينه وبين الفلج ثلاث مراحل ، وبينه وبين الأحساء وهجـر مرحلتان ، وهو فيما بينها ومطلع سهيل ، وقال أبو زياد الكلابي :

أراكِ إلىٰ كُثبانِ يَبْرينَ صَبـةً
وهذا لَعمري لو قنعتِ كثيـبُ

وإن الكثيـب الفرد من أيمن الحمىٰ
إليَّ وإن لم آتِـهِ لحبيـبُ

السماوة[1] عرضًا[2] " .

وجاء في المسند " عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب[3] " .

قال ابن القيم رحمه الله : " وحديث أبي عبيدة صريح في أنّ أرض نجران[4] من جزيرة العرب[5] .

---

وقال جرير :

لمّا تذكرتُ بالديرين أرّقني
صوت الدجاج وضربٌ بالنواقيسِ

فقلتُ للركب إذ جد الرحيل بنا
يا بُعدَ يبرين من باب الفراديسِ

انظر : معجم البلدان ـ لياقوت الحموي ( ٤٢٧/٥ ) .

(١) السماوة : مفازة بين الكوفة والشام ، وقيل بين الموصل والشام وهي من أرض كلب ، وكانت باسم عليق بن لاوذ من إرم من العماليق .

(٢) أحكام أهل الذمة ـ لابن القيم ( ١٧٨/١ ) ، وروى نحوه البغوي في شرح السنة ( ١٨١/١١ ) .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ( ١٩٥/١-١٩٦ ) ، ونحوه في ( ٢٢٢/١ ) .

(٤) نجران : قال الحميري : " سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان " . الروض المعطار ص : ٥٧٣ .

وقال ابن منظور : " هو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن . اللسان ( ١٩٥/٥ ) ، وهذا خطأ حيث أن نجران تقع شرق بلاد اليمن ولا تقع بين الشام واليمن والحجاز ، بل قال الحميري : " من بلاد اليمن " .

(٥) أحكام أهل الذمة ( ١٧٨/١ ) .

قال بكر بن محمد عن أبيه : " سألت أبا عبدالله[1] عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"[2] ، قال : " إنما الجزيرة موضع العرب "[3] .

وقال عبدالله بن أحمد : " سمعت أبي يقول : حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يبقى دينان في جزيرة العرب" تفسيره : ما لم يكن في يد فارس والروم "[4] .

وروى ابن القيم نحوه عن إبراهيم بن هانيء[5] .

ويدخل في جزيرة العرب اليمن لما رواه عيسى بن دينار عن مالك[6] ، ويدخل فيها العلا وتبوك لأن ابن تيمية رحمه الله قال[7] : " وأما العُلا

---

(١) يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

(٢) هذه جملة من حديث متفق على صحته رواه البخاري في الجهاد باب هل يُستشفع إلى أهل الذمة وفي الجزية باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ، ورواه مسلم في الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي به .

(٣) أحكام أهل الذمة (١/١٧٦) .

(٤) المرجع السابق (١/١٧٧) .

(٥) المرجع السابق (١/١٧٧) .

(٦) المرجع السابق (١/١٨٧) .

(٧) العلا : بضم أوله والقصر وهو اسم لموضع من ناحية وادي القرى نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه الى تبوك وبني مكان مصلاه مسجد .
انظر : معجم البلدان - لياقوت الحموى (٤/١٤٤) .

وتبوك[1] ونحوهما فهو من أرض الحجاز والله أعلم "[2] .

وقال ابن عبد ربه الأندلسي رواية عن الأصمعي : " جزيرة العرب ما بين نجران إلى العُذيب[3] ، وقال غيره : " أرض العرب ما بين بحر القلزم وبحر الهند "[4] .

---

(١) تبوك : بين الحجر وأول الشام وشرب أهلها من عين ماء خرارة وبها نخيل كثير ، ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث اليهم شعيب النبي عليه السلام كانوا بها ، وكان شعيب في مدين ، وتبوك أقصى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وروي أنه جاء في غزوة تبوك وهم يبوكون حسيّها بالقدح أى يدخلونه فيه ويحركونه ليستدير ماؤه ، فقال صلى الله عليه وسلم : " ما زلتم تبكونها فسميت تبوك ، وبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدا .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٦٣١) جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد - الدار العربية للنشر - بيروت - ط ١ سنة ١٣٩٨هـ

(٣) بظاهر الكوفة والعذيب أيضا لبني تميم .
قال المتنبي :
تذكرتُ ما بين العُذيب وبارقٍ
مَجَرَ عوالينا ومجرى السوابقِ
وفي الخبر : أن عسكر المسلمين نزلوا العُذيب .
انظر : الروض المعطار للحميري ص : ٤٠٩ .

(٤) العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي (٦/٢٤٧) تحقيق مجموعة من الأساتذة - دار الكتاب العربي - بيروت .

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة أكثرها متفق على صحته في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، والمستفاد من هذه الأحاديث في هذا البحث هو دخول الكثير من الأماكن في جزيرة العرب كاليمن ونجران وتبوك وتيماء[1] وغيرها ، وآراء العلماء في هذا كثيرة وفيها بعض الاختلاف ، ولقد أفرد لها المؤلفون أبواباً في كتبهم

ومن وجهة نظري أرى أن الأمر لا يحتاج إلى مزيد من الآراء فجزيرة العرب هي كما سبق أن ذكرت في أول هذا المبحث من البحر الأحمر غرباً - وهو ما كان يسمى ببحر القلزم - إلى الخليج العربي شرقاً ، ومن المحيط الهندى جنوباً إلى الحدود الجنوبية للشام أى الحدود الجنوبية للعراق والأردن حالياً ، ولا يغيب عن بالنا أن اختلاف الفقهاء هذا لم يأت من فراغ ، ولم يكن حباً منهم في الاختلاف وإنما يرجع إلى مبحث فقهي يدور حول الأماكن التي يجوز للكفار دخولها من جزيرة العرب والأماكن التي يمنعون من دخولها[2] .

---

(١) تيماء : " من أمهات القرى على سبع ليالٍ من المدينة المكرمة ولها سور على شاطيء بحر طوله فرسخ ... وبتيماء مياه ونخل .. وكانت أمة من العماليق نزلوا في قديم الزمان الحجاز وكان ملكهم بتيماء يقال له الأرقم بن أبي الأرقم " .
انظر : الروض المعطار للحميري ص : ١٤٦ .

(٢) أحكام أهل الذمة ، لابن القيم (١/١٧٥) ، وشرح السنة للبغوي (١/١٨٠) ، والمغني لابن قدامة المقدسي (٨/٥٢٩) وما بعدها .

## المبحث الثالث :

## المنـــــــاخ

إن هجرات الإنسان ومواطن حضارته مرتبطة ارتباطاً وثيقـــــاً بظروف المناخ الذى يعيش فيه ، فنجد أن سكان الصحراء يعتمـــدون اعتماداً أساسياً على الرعي وتتبع مواطن الكلأ والأمطار في حين أننـــا نجد الذين امتازت أرضهم بالزراعة وكثرة الأمطار قد غلب عليهم طابـع الاستقرار في مكانٍ واحد .

وإذا أردنا أن ندرس شيئاً عن سكان الجزيرة العربية والظـروف التي أثرت في تدينهم وعباداتهم لا بد أن نعرف شيئا عن مناخهـم الذى يعيشون فيه ، فالجزيرة العربية ذات مساحة شاسعة فهي أكبر شبة جزيرة في كل قارات العالم على السواء وتبلغ مساحتها ربع مساحة القارة الأوربية أو ثلث مساحة الولايات المتحدة (١) ، وتكاد تكون فيهـــا جميع أحوال المناخ ، فتصل درجة الحرارة في الصيف في بعـــــض مناطقها إلى ٥٥°م ، وفي نفس الوقت تكون بمعدل أقل من ٢٠°م في مناطق أخرى ، وتصل درجة الحرارة شتاء إلى ما تحت الصفر فـــي بعض المناطق ولا تقل عن ٢٠°م في مناطق أخرى في نفس الفترة .

أما بالنسبة للأمطار فهي تكاد تكون منعدمة في بعض المناطـــق غزيرة في مناطق أخرى .

---

(١) العرب في العصور القديمة ، د . لطفي عبدالوهاب يحيي ص : ٩٠ .

فندرة الأمطار في الصحراء أثرت في عقائد أهل البادية[1] ، فنجد أنه كانت لهم - مثلاً - صلوات استسقاء[2] فيها شرك عظيم .

---

(١) وامتد التأثير كذلك إلى لغتهم ، فنجد أنهم سمّوا الأمطار حيا أو غيث لأنها تعتبر بالنسبة لهم كالحياة بعد الموت .

(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكرى الألوسي (٢/ ٣٠١) ، شرح محمد بهجت الأثرى - دار الكتب العلمية بيروت .

# الفصـــل الثانـــــي

## العصـــر الجاهلـــي

* المبحث الأول :

تحديد العصـــر الجاهلـــي .

* المبحث الثاني :

معـــــنى الجاهليـــــة .

المبحث الأول

## تحديد العصر الجاهلى

لقد اختلف المؤرخون والأدباء فى تحديد بداية العصر الجاهلى فإذا نظرنا للعصر الجاهلى من الوجهة التاريخية فإننا لن نستطيع أن نحدد له بداية، لأنه بذلك يكون شاملاً للحياة على أرض الجزيرة فترة ماقبل الإسلام منذ مجيء إسماعيل عليه السلام إلى أرض الجزيرة بل قبل ذلك إذا أخذنا فى الاعتبار قبائل الجنوب العربي فى اليمن .

وإن النظرة من ناحية أدبية بالإضافة إلى الناحية التاريخية معتمدة على الشعر تجعلنا نحدد العصر الجاهلى بدقة أكثر لأننا حينئذ نجعل بدايته مع أول وأقدم الأشعار التى وصلت إلينا من ذلك العصر والذى دفعنا إلى هذا هو أن الشعر من أصح الأخبار ـ بعد الكتاب والسنه ـ عن العصر الجاهلى وكما روى " الشعر ديوان العرب "[1] .

أما كتب التاريخ فقد غلب فيها الغث على السمين وامتلأت بالأخبار الموضوعة أو التى لايستطيع العقل إدراكها .

ولهذا ستكون الاتجاهات الدينية التى سأدرسها فى بحثى هذا ماكانت قائمة ويوجد من يعتقد بها فى تلك الفترة الزمنية التى حددها الأدباء للعصر .

فما هو تحديدهم له إذن ؟

---

(١) تروى هذه الكلمة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قال الجاحظ :[1] " أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعه فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له ـ إلى أن جاء الله بالإسلام ـ خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام "[2] .

ونقل أبو هلال العسكرى[3] قول الفرزدق :

وأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهُنَّ قَتَلْنَهُ
وَمُهَلْهِلٌ[4] الشعراءِ ذاك الأولُ

وهو الأول : أى أول من قال الشعر .

وقال د . شوقى ضيف : " قد يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلى يشمل كل ماسبق الإسلام من حقب وأزمنة ، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية فى عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده ،

---

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ صاحب المؤلفات الكثيرة وأشهرها الحيوان والبيان والتبيين ولقب بالجاحظ لجحوظ عينيه .

(٢) الحيوان للجاحظ ١ / ٧٤ تحقيق وشرح عبد السلام هارون ط/ ٢ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

(٣) الأوائل للعسكرى ٢ / ١٩٤ تحقيق د . وليد قصاب ومحمد المصرى نشر دار العلوم / الرياض .

(٤) واسمه عدى بن ربيعه وهو خال امرىء القيس ولقب بالمهلهل لأنه هلهل الشعر أى أرقه .
واختلف فى اسمه على أقوال ليست من شأننا ومن أراد ذلك يراجع الشعر والشعراء ٢٩٨ ، معجم الشعراء ٧٩ ، الكامل لابن الاثير ١ / ٣٢٣ .

المبحث الثانـي

## معنى الجاهليـة

إن كلمة جاهلية فى حد ذاتها يمكن معرفة معناها بوضـــــوح إذا رجعنا إلى كتب اللغة ٠

فيقول ابن منظور : " الجهل نقيض العلم "[1] والتفاسير اللغويـــة لهذه الكلمة لاتذهب بعيداً عن تفسير الكلمة كما فهمها ابن منظور ولكننا لانريد أن نفسر الشىء بضده دون البحث فى حقيقته فما هى حقيقـــة الجاهلية ؟ هل هى الجهل بالعلم فقط ؟ أم الجهل بالله وبالشرائـع ؟ أم بهما معا ؟ من المسلم به أن الجاهلية تطلق على الفترة الزمنيـــة السابقة للإسلام ٠ قال ابن منظور : هى الحال التى كانت عليها العـرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة والكبر والتجبر ٠"[2]

يقول الدكتور ناصر الدين الأســد :

إن حياة العرب فى الجاهلية ــ فيما بدا لنا ــ بعيدة كل البعد عما يتوهمه بعض الواهمين أو يقع فيه بعض المتسرعين الذين لايتوقفـــون ولا يثبتون فيذهبون إلى أن عرب الجاهلية لم يكونوا سوى قوم بدائييـــن يحيون حياة بدائية فى معزل عن غيرهم من أمم الأرض ونحن لانحـــب أن نغلو كما يغلون ونسرف على أنفسنا وعلى الحقيقة كما يسرفون ونذهب إلـى

---

(١) لسان العرب لابن منظور ( ١١/ ١٢٩ ) دار صادر بيروت ٠

(٢) نفس المرجع ( ١١/ ١٣٠ ) ٠

أن عرب الجاهلية الأخيرة كانوا من الحضارة بمنزلة لاسبيل إلى تجاوزهـــا ولا مزيد لمستزيد وإنما تحب أن نشير إلى ماقررناه من أمر اتصال العـــرب بالحضارات المجاورة لهم أولاً ومن أمر حضاراتهم التليدة الموروثة ثانيـا "(١)

فالدكتور ناصر الدين الأسد فى هذا النص كان معتدلا لايرمـــى العرب بالجهل العلمى المطلق ولا يصفهم بتقدم علمى أكثر مما كانوا عليـه إذ هو يفهم الجاهلية العربية أنها جاهلية دينية لا علمية محضة وهـــذا هو ماقرره د ٠ عفت الشرقاوي حين قال : " وهكذا يفهم الدكتور ناصر الدين معنى الجاهلية بعيداً عن معنى الأمية العلمية كما وهم بعـــض الباحثين بل متصلة بمعنى الأمية الدينية ، وهو يأخذ على المؤلفين العرب القدامى ميلهم الواضح إلى تجهيل الجاهلية ٠٠٠ حيث يصفون العـــرب بأنهم كانوا أمة أمية جاهلة لاحظّ لها من علم أو معرفة أو كتابة ٠"(٢)

ويشير الدكتور عفت الشرقاوى إلى أن الدكتور الأسد فهم قولـــه تعالى " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِـــهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِيـــنٍ "(٣) فهمها على أنها لاتعنى الأمية العلمية أو الثقافية بل الأمية الدينيـــة فيقول د ٠ شرقاوى " لكنه يعتقد أن الأمية هنا ليست الأمية العلميـــة

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية د ٠ ناصر الدين الأسد ص : ١٨ دار المعارف / القاهرة سنة ١٩٥٦ م ٠

(٢) دروس ونصوص فى قضايا الأدب الجاهلى د ٠ عفت الشرقاوى ص : ٣٧ دار النهضة بيروت ١٩٧٩ ٠

(٣) الجمعـــة ( ٢ ) ٠

وإنما هى الأمية الدينية أى أنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتـــاب ديني ومن هنا كانوا أميين دينياً "[1].

وهذا الرأى هو ماقرره وأثبته د • شوقى ضيف حين قال : وينبغـى أن نعرف أن كلمة الجاهلية التى أطلقت على هذا العصر ليست مشتقـة من الجهل الذى هو ضد العلم ونقيضه إنما هى مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق فهى تقابل كلمة الاسلام "[2] ويستدل الدكتور شوقـى ضيف لاختياره هذا بقوله تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَـنِ الْجَاهِلِينَ "[3] وقوله تعالى : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَـى الْأَرْضِ هَوْناً وإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً "[4] •

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر : " إِنَّكَ امرؤٌ فِيـكَ جَاهِلِيَّةٌ " •

وقول عمرو بن كلثوم التغلبى فى معلقته :

أَلَا لَا يَجْهَلَـنَّ أَحَـدٌ عَلَيْنَـا
فَنَجْهَـلَ فَوْقَ جَهْـلِ الْجَاهِلِينَا

يقول د • شوقى ضيف : " وواضح فى هذه النصوص جميعـاً

---

(١) المرجع السابق ص : ٣٧ •
(٢) سلسلة تاريخ الأدب العربى ـ العصر الجاهلى د • شوقى ضيـف ص ٣٩
(٣) الأعـراف ، آية : ١٩٩ •
(٤) الفرقـان ، آية : ٦٣ •

أن الكلمة استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الاسلام ... وكل ماكان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ماحرمه الدين الحنيف من موبقات ."[1]

ويؤيد هذا الرأى كذلك ماقاله د . إبراهيم عبد الرحمن :

" ونحب ... أن نصحح بعض المفهومات المغلوطة عن هذا العصر فقد درج أكثر القدماء والمحدثين على تفسير معنى ( الجاهلية ) بالأمية أى عدم معرفة القراءة والكتابة ، ووصم العصر الجاهلى بالتخلف الحضارى والجاهليين بالتخلف الثقافى مقولة تتردد هنا وهناك فى الكتب القديمة وتوشك أن تصبح حقيقة ثابتة ."[2]

ويضيف د . الشرقاوى فى معرض نقده لهذا المفهوم عن الجاهلية ـ أى العلمية ـ بأن الذى ساعد من فهموا الجاهلية بأنها جاهلية علمية الذى ساعدهم على هذا الفهم هو ماجاء فى معاجم اللغة من وصف الجهل بأنه ضد العلم . ويقول : بأن الكلمة أكثر ماجاءت فى النصوص القديمة مناقضة للحلم وليست مناقضة للعلم .[3]

---

(١) شوقى ضيف ص : ٣٩

(٢) قضايا الشعر فى النقد العربى د . إبراهيم عبد الرحمن ص : ١٢ مكتبة القاهرة ١٩٧٧ م .

(٣) أى غالبا وليس دائما .

ويدلّل على ذلك بأقوال الشعراء ومنهم :

أَظُنُّ الحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي
وقد يَسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ

أى قد يضطر الحليم الى الجهل .

ويقول شاعر آخر :

إذا شئت يوماً أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً
فبِالحِلمِ سُدْ لَا بِالتَسَرُّعِ والشَّتْمِ
وَلِلحِلْمُ خَيْرٌ فَاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً
مِنَ الْجَهْلِ إلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

ويؤيد هذا كذلك بإيراد آيات قرآنية تدل على أن الجهل من العدوان والتمادى فى الغضب والظلم ومن هذه الآيات قوله تعالى :

" أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ "(١)

" إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ "(٢)

" وإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ "(٣)

فهذه الجاهلية تعبير عن حياة العرب قبل الإسلام التى كانت تقوم على العدوان وسفك الدماء وكأن الحرب شريعتهم المقدسة أكثر من أن تكون تعبيراً عن أُمِّيَّة دينية أو علمية كما يقول بعض الباحثين(٤) .

---

(١) النمل آية (٥٥) .  (٢) الفتح آية (٢٦) .

(٣) يوسف آية (٣٣) .

(٤) قضايا الأدب الجاهلى د . عفت الشرقاوى (٣٨ ـ ٤٢) بتصرف .

وقد أورد الدكتور زهدي صبري الخواجا ثمانية معاني لكلمة الجهل ولكنه أجملها أخيراً في جملة واحدة حيث قال : " ويظهر لنا أنَّ تلك الكلمة تشتمل على معانٍ كثيرة كالسفه وعدم الحلم والتهور وعدم القدرة على ضبط النفس وسرعة الإنفعال واشتداد ثورة الغضب والإندفاع في غير تريث والثورة لأتفه الأسباب وتعني كذلك عدم الاعتدال في كثير من تصرفاتهم فكما أنهم يندفعون إلى الشر فهم يندفعون إلى الخير غير المحدود فيبالغون في الكرم الموفي إلى السرف والتلف ويتفانون في الإخلاص للقبيلة لدرجة ذوبان الذات :

قَـوْمٌ إِذَا الشَّـرُّ أَبْـدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ
طَـارُوْا إِلَيْهِ زُرَافَاتٍ وَوِحْـدَانا
لا يَسْـأَلُوْنَ أَخَـاهُمْ حِيْنَ يَنْدُبُهُـمْ
فِـي النَّائِبَـاتِ عَلَى مَاقَالَ بُرْهَانَـا (١)

هكذا فهم الدكتور شوقي ضيف أن الكلمة تدل على " السفه والحمق ... وأخلاق قوامها الأخذ بالثأر واقتراف ماحرمه الدين من موبقات " (٢)

وكذلك د . عفت الشرقاوي فهم نفس الفهم حين قال : " فهذه الجاهلية تعبير عن حياة العرب قبل الإسلام التي كانت تقوم على العدوان

---

(١) الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي د . زهدي صبري الخواجا ص : ٤٧ دار الناصر الرياض ط : (١) ١٤٠٤ هـ .

(٢) شوقي ضيف ٣٩ .

وسفك الدماء وكأن الحرب شريعتهم المقدسة ."[1]

وكل من قال بهذا الرأى أو وصف العرب بهذه الصفات أمَّدَ قوله بنصوص من الكتاب والشعر العربى ولكن الدكتور يحيى الجبورى يخفف من هذه الحده فى وصف العرب بهذه الأوصاف القاسية فيقول : " فقد اضطرب مفهوم الجاهلية فى كثير من كتابات الكتاب والباحثين ... حتى غدت صورة الجاهلية فى الأذهان صفةً للجهل والجور والبدائية ."[2]

ويواصل د . الجبورى نقده للكثير من المؤلفين ـ مثل الألوسي وأحمد أمين ـ فى تفسيرهم النصوص وفق المعنى الذى يريدونه ويفسر الجهل فى بيت عمرو بن كلثوم :

أَلا لَايَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا

فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِيْنَا

يفسره بأنه ينصرف إلى الظلم .[3]

ويواصل كلامه : " وفى أكبر الظن أن الكلمة حين أطلقت فى أول الأمر أريد بها الدلاله على شيوع عبادة الأوثان بينهم ...فالجاهلية على هذا إذاً قصدت فإن معناها ينصرف إلى تلك الوثنية السائده قبل شريعة الإسلام ... ويذهب معنى الجاهلية من جهة أخرى ـ غير

---

(١) قضايا الأدب الجاهلى الدكتور عفت الشرقاوى ص : ٤٢ .

(٢) الشعر الجاهلى خصائصة وفنونه د . يحيى الجبورى ص : ٢٤ ، مؤسسة الرسالة ط : ٤ سنة ١٤٠٣ هـ .

(٣) الشعر الجاهلى د . يحيى الجبورى ص : ٢٥ ـ ٢٨ بتصرف .

الدين ـ إلى تلك الحالة الخلقية التى كانت حاضرة فى نفوس العـرب • جماع الغلو فى تقدير الأمور والإسراف وسرعة الغضب "[1] ويستدل بقـول الشنفرى فى لامية العرب :

ولا تَزْدَهِـي الْأَجْهَالُ حِلْمِي ولَا أُرَى
سَـؤُولاً بأَعْقَـابِ الْأَقَاوِيلِ أَنْمُـلُ

وهذا هو معنى بيت عمرو بن كلثوم المتقدم[2].

ويجمل تعريفه للجاهلية بقولة " إن المراد من معنى الجاهليـة مايتمثل فى الذهن من مفهوم دينى فعهد الجاهلية كان قائما على الشرك والوثنية وفيه ضلال وظلم وظلمات "[3].

أقول إن الدكتور يحيى الجبورى قد نقض قول الألوسي وغيره مـن وصفوا العرب بالحمق والسفه ثم جاء ـ حسبما فهمت ـ بنفس المعـنى بصورة أخرى حيث أرجع سبب التسميه بالجاهلية إلى الجهل الديـنى وانتشار الشرك وعبادة الأوثان ووجود الغلو والظلم ولايختلف رأيه ـ فـى نظرى ـ عن آرائهم إلا فى اختيار الألفاظ فهم استخدموا ألفاظاً قاسيـة شديدة فى وصف حالة العرب أما هو فقد هذب الألفاظ وخفف من حدتها وقسوتها • وبأنه مادام سبب تسمية العرب بالجهال نسبة إلى الجهـل

---

(١) نفس المرجع ص : ٢٧ •
(٢) نفس المرجع ص : ٢٨ •
(٣) الشعر الجاهلى د • يحيى الجبورى ص : ٢٩ •
راجع كذلك شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه د • يحيى الجبورى ص : ١٩ ومابعدها فيكاديكون أتى بنفس الكلام فى كتابيه السابقين •

الدينى فيجوز لك أَنْ تصفهم بأى صفة شئت فليس بعد الكفر ذنب ولكـــن يجب ألا ننسى كثيراً مما كانوا عليه من خصال الخير والفضيلة .

ونجد أن المؤرخ النصرانى فيليب حتى يعتقد نفس الاعتقاد فيقول : " إن لفظ جاهلية يطلق فى الغالب على أيام الجهل والهمجية ، إنمـــا يُقصد به فى الواقع ذلك العصر الذى لم يكن لبلاد العرب فيه قوانيـــن ولا رسول موحىٰ إليه ولا كتاب منزل لأنه من الصعب أن نصف بالجهـــل وعدم التمدن مجتمعا مثقفا له آداب وثقافة كتلك التى ترقت على أيدى عرب الجنوب "[1] .

إلى هنا وكلام فيليب حتى يسير سيرا طبيعيا ومقبول نوعا ما لأنـــه فهم الجاهلية بأنها جاهلية دينية وهذا هو بعض مفهوم الجاهلية .

ولكن بسبب من الحقد المزروع فى قلبه على الإسلام ورسوله صلـــى الله عليه وسلم نجده يبدأ هجومه فى نفس الصفحة فهو يفسر حديث رســول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه " الإسلام يجب ماقبله " بـــأن معناه أن الاسلام " أمر هام ينهى عن كل أفكار عصر ماقبل الإسلام وَمُثُلِـهِ العليا ولكن الآراء شىء يصعب استئصاله وليس فى مقدور شخص واحد مهما كان قويا أن يلغى الماضى بكلمة واحدة "[2] .

---

(١) تاريخ العرب فيليب خورى حتى ص : ١٠٣ ترجمة محمد مبـــروك دار العالم العربى / القاهرة سنة ١٩٥٢ م .

(٢) المرجع السابق ص : ١٠٣ .

فنقول له: إن حقدك هو الذى حملك على هذا الفهم الخاطـــىء فالإسلام يجب ماقبله ليس معناه أنه جاء ليلغىَ كل الأفكار والمفاهيم والمُثل السابقة لا،بل إن معناه أنه يمحو كل ماقبله من السيئات والآثام ، بـل إن الإسلام أبقى على كثير من الآراء والأفكار الحسنة، وألغى كل ماكان رديئـا منها . ويدلنا على ذلك سبب ورود الحديث فقد روى مسلم عن أبـــى شماسه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه حديثا فى معنى الحديث السابق بل إنه لا يختلف عنه إلا فى ألفاظ قليلة فقد ورد أن عمرو بن العـــاص عندما أراد أن يسلم وسط رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعه قبـض عمرو يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ياعمرو ؟ قال : أردت أن أشترط ، قال تشترط بماذا ؟ قال أن يغفر لي ، قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ماكان قبله ؟ (١)

ثم إنه يصف كل الأفكار السائدة بأنها مُثل عليا ، فنقول له نعم إنها مثل عليا فى القمة بالنسبة لمجتمعه النصرانى المنحط خلقيا الذى لاتوجد فيه شيمة واحدة من شيم المروءة فالعربى الجاهلى مثل أعلى للنصرانى المتحضر.

وهذه العبارة منه لم تأت بدون تفكير وكيد بل إنها توحي بأنـــه يعيب على الإسلام أن غير تلك الأفكار والمثل العليا ــ فى نظره ــ .

ثم إنه يشك بل يقطع بعدم مقدرة الرسول صلى الله عليه وسلـــم

---

(١) البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف تأليف ابن حمزه الحسينى الحنفى الدمشقى تحقيق د . حسين عبد المجيد هاشـم ص : ٣٥٤ دار الكتب الحديثة القاهرة .

وهو شخص بمفرده أن يغير تلك الافكار ، فنقول له : ألم تقرأ في التاريخ أيها المؤرخ أنه غيرها ووضع بدل الظلمة نورا " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١) " وصفهم الله بأنهم كانوا في ضلال مبين ووصفهم فيليب حتى الصليبي بأنهم كانوا في مُثُل عليا ، أفنقدم كلام صليبي على كلام رب العالمين ؟ .

ويصف الشيخ الندوي العرب بقوله " ولكن ابتلوا في العصر الأخير بانحطاط ديني شديد ووثنيه سخيفة قلما يوجد لها نظير في الأمم المعاصرة ، وأدواء خلقية واجتماعية جعلت منهم أمة منحطة الأخلاق فاسدة المجتمع متضعضعة الكيان ، حاوية لاسوأ خصائص الجاهلية وبعيدة عن محاسن الأديان (٢) "

رأى الدكتور طه حسين :

يرى أن العرب لم يكونوا جاهليين في دينهم وينفي الجهل عنهم بحجة اتصالهم بالأمم الأخرى من الحبش والفرس والروم وغيرهم فيقول : " لم يكن العرب إذن كما يظن أصحاب هذا الشعر الجاهلي معتزلين فأنت ترى أن القرآن يصف عنايتهم بسياسة الروم والفرس وهو يصف اتصالهم الاقتصادي بغيرهم من الأمم في السورة المعروفة " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ

---

(١) الجمعة (٢) .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوي دار القلم الكويت ط : ١٣ سنة ١٤٠٢ هـ .

رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ " وكانت إحدى هاتين الرحلتين إلى الشام حيث الروم والأخرى إلى اليمن حيث الحبشه أو الفرس وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم تحدثنا أن العرب تجاوزوا بوغاز باب المندب إلى بلاد الحبشه ، ألم يهاجر المهاجرون الأولون إلى هذه البلاد ؟ وهذه السيرة نفسها تحدثنا بأنهم تجاوزوا إلى بلاد الفرس وبأنهم تجاوزا الشام وفلسطين إلى مصر فلم يكونوا إذن معتزلين ولم يكونوا إذن بنجوة من تأثير الفرس والروم والحبش والهند وغيرهم من الأمم المجاورة لهم فالعرب لم يكونوا على غير دين ولم يكونوا جهالاً ولا غلاظًا ولم يكونوا فى عزلة سياسية أو اقتصادية بالقياس إلى الأمم الأخرى "[1]

أقول باننى لا أسلم لطه حسين بهذا الرأى لأنه بناه فى نظرى على أمور غير ثابته فاتصال العرب بالأمم الأخرى لايسمح لي أن أجزم بأنهم تأثروا بتلك الأمم فقد ذهبوا إلى بلاد الروم الصليبية ولكن كم عدد الذين دخلوا دين النصارى من العرب أجزم بأنهم إن وجدوا فلن يعدوا على أصابع اليد الواحده . بخلاف نصارىٰ نجران والجنوب فانهم حملوا على النصرانية قسراً من قِبَلِ الاحتلال الحبشى لهم ومقاومة النصرانية فى الجنوب مشهورة جدا ويظهر ذلك واضحا فى سورة البروج وحادثة أصحاب الأخدود .

وأما نفى الجهل الدينى عن العرب فهذا خطأ بيّن لأن واقع الحال الذى كانوا عليه واضح وجهلهم أوضح من أن يوضح . وهجرة

---

(١) د . عفت الشرقاوى ص : ١٠٩ نقلا عن طه حسين نفسه ص : ٩٤ .

الأولين إلى الحبشة لم تؤثر فى المسلمين بل إن المسلمين أثروا فى أهل الحبشة فأسلم النجاشى على يد المسلمين المهاجرين اليه .

فخلاصة القول من الآراء السابقة أنى لا أنفى عن العرب الجهل العلمى ولا الجهل الدينى فالآراء الأولى من هذا البحث كلها تثبت جهل العرب الدينى وتنفى الجهل العلمى وأنا معهم فى إثبات الجهل الدينى ولست معهم فى نفى الجهل العلمى لأننا إذا استقرأنا حال العرب العلميه نجد أنهم على غير شىء فكم عدد الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة منهم ؟ إنهم قلة قليلة جدا وماذا كانوا يصنعون من أمور معيشتهم ؟ السيوف هندية ويمانية والملابس رومية وفارسية !

فأنا أثبت الجهل العلمى كما أثبت الجهل الدينى وأعتقد أن أصح ماقيل فى وصف حال العرب هو قول الندوى السابق (١) .

إلا أنى أشعر أنه كان مغاليا أكثر من اللازم فى وصفهم بالانحطاط الشديد . ولا أنفى عن العرب الكثير من الأخلاق الحميده وفعال المروءة العربية الصحيحة إلا أن تلك الفعال الحسنة كلها لم يكن الدافع لها دافعا دينيا ينبع من عقيدة بالله سبحانه وتعالى .

هذا هو مجمل الآراء فى تعريف الجاهلية التى كان عليها العرب أى لماذا سمى العرب جاهليين ، أما كلمة جاهلية بمعنى أوسع من هذا أى تلك الجاهلية التى لاترتبط بمكان معين ولا بفترة زمنية معينة فهى

---

(١) لقد سبق قوله فى ص: ٢٥ من هذه الأوراق .

ماعبر عنها الأستاذ محمد قطب بقوله : " الجاهلية ـ إذن ـ حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله ، ووضع تنظيمى يرفض الحكم بما أنزل الله ... ومن ثم فهى ليست محصورة فى الجاهلية العربية ولا فى فترة من الزمن معينة وإنما هى حالة يمكن أن توجد فى أى وقت وفى أى مكان كما توجد كذلك فى أى مستوى ... من المعرفة والحضارة والتقدم المادى والقيم الفكرية والسياسية والاجتماعية والإنسانية "(١)

ولو كان الجهل العلمى هو السبب الرئيسى فى تسمية العرب بالجاهليين لما جاز للأستاذ محمد قطب أن يسمى حضارة القرن العشرين بالجاهلية الحديثة أو جاهلية القرن العشرين .

ويقول الشهيد السيد قطب رحمه الله تعالى :

" والجاهلية ليست فترة تاريخية إنما هى حالة توجد كلما وجدت مقوماتها فى وضع أو نظام وهى فى صميمها الرجوع بالحكم والتشريع إلى أهواء البشر لا إلى منهج الله وشريعته للحياة ، ويستوى أن تكون هذه الأهواء أهواء فرد أو أهواء طبقة أو أهواء أمة أو أهواء جيل كامل من الناس فكلها مادامت لاترجع إلى شريعة الله أهواء "(٢) ويضيف سيد قطب رحمه الله قائلا : يُشَرِّعُ فرد لجماعة فإذا هى جاهلية لأن هواه هو القانون أو رأيه هو القانون ... وكذلك تشريع طبقة لطبقة أو تشريع

---

(١) جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص : ٨ دار الشروق ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

(٢) فى ظلال القرآن الكريم تأليف سيد قطب ٢/ ٧٢٩ دار أحياء التراث العربى بيروت ط : (٥) ١٣٨٦ / ١٩٦٧ .

مثلى جميع الطبقات لأنفسهم جاهلية ... ويُشَرِّعُ خالق الأفراد وخالـــق الأمم وخالق الجماعات والأجيال للجميع فإذا هى شريعة الله التى لامحاباة فيها لأحد لأن الله رب الجميع والكل لديه سواء .[1]

---

(١) المرجع السابق ٢/٧٣٠ بتصرف .

## الفصل الثالث

## الشرك والتوحيد في الجزيرة العربية

اختلف في مسألة التوحيد والشرك في الجزيرة العربية أيهما أسبق ؟ والذى لا يشك فيه مسلم يعتمد على نصوص دينية هو أن التوحيد أسبق بلا خلاف بين المسلمين أما المخالفة فقد جاءت من غير المسلمين الذين يعتمدون في بحوثهم على المنهج التطوري في دراسة الأديان ،

يقول د . عبد الله الشاذلي : " ولمّا كنّا سنضع أيدينا على نصوص التاريخ التى دونها المسلمون فإننا سنعتبر بالضرورة سبق التوحيد عن الوثنية في تلك المنطقة بالذات وفي غيرها من مناطق العالم "[1] .

وأتبع هذا برفضه لرأى المستشرقين الذين يفترضون أسبقية الشرك على التوحيد وأن الوثنية كانت منتشرة في مكة قبل ذهاب إسماعيل عليه الصلاة والسلام إليها .

أما المسلمون فيعتمدون في رأيهم هذا على أدلة صحيحة

الدليل الأول : الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها من أول نشأته فآدم عليه السلام وهو أول البشر على الأرض خلق على الفطرة وكذلك

---

(١) الحكمة العربية ، د . عبدالله الشاذلي ص ٢٧٩ ، دار سعيد ط ١ ، سنة ١٩٨٢ م .

ذريته من بعده ، قال تعالى : (( وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم وأَشْهَدَهُم علىٰ أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا (١) )) .

وقال : (( فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢) )) ، وقال تعالى واصفاً نفسه : (( الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ والَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) )) ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " مَنْ يُولَدُ يُولَدُ علىٰ الفِطْرَةِ فَأَبَواهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ كما تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُم تَجْدَعُونَهَا (٤) " . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " ما مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلاَّ عَلَى المِلَّةِ فَأَبَواهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُشَرِّكَانِهِ (٥) " .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " يقولُ اللَّه تعالىٰ (( إِنِّي خَلَقْتُ عبادي جميعاً حُنَفاءَ فاجتالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِم (٦) )) ، والنصوص في هذا كثيرة ولكني أكتفي بما أوردته .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ١٧٢ ) .
(٢) سورة الروم ، الآية ( ٣٠ ) .
(٣) سورة الاعلى ، الآية ( ٢ ، ٣ ) .
(٤) هذا الحديث أورده البغوى في شرح السنة ١٥٤/١ بسنده عن أبي هريرة .
قال متفق عليه أخرجه محمد عن اسحق وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق .
(٥) هذا حديث صحيح أخرجه مسلم رحمه الله عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه عن الأعمش في القدر .
(٦) هذا حديث قدسي رواه مسلم رحمه الله في باب الجنة وصفة نعيمها وأورده البغوى في شرح السنة باب أطفال المشركين : ١٥٨/١ .

الدليل الثاني : وهو المصدر الخبرى : [ فإن التاريخ يحدّثنا أن المنطقة العربية عرفت ألوانا متعددة من الأخبار الإلهية منذ الإنسان المسمّى بآدم ... فإنه من المعروف أن الله علّم آدم الأسماء وكلمه وأوصى إليه ... وممّا يقطع بوضوح فكرة التوحيد لدى أولاد آدم من بعده كذلك ماتراه في حادثة قابيل وهابيل ... ومن خلال الحوار بينهما تسمع التديّن القائم على الإيمان بالله .....

(( لئن بسطتّ إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف الله ربّ العالمين (١) ))(٢) ]

ومرّت الأيام على بنى آدم وهم يعبدون الله على دين أبيهم ولكنّهم تفرقوا في البلاد عند تكاثرهم وابتعدوا عن البيت الحرام وضعف الوازع الديني في نفوسهم فأشركوا بالله تعالى ، ومن هنا لانستطيع أن نشك في أسبقية التوحيد على الشرك .

ولكن بعض من سار وراء المستشرقين يستقي من أفكارهم خالف المسلمين وادعىٰ عكس ماقررناه سابقاً مع مخالفته للنص والعقل . فيقول : " فعلى الرغم من تلك الأخبار الكثيرة التي انتثرت في كتب التاريخ والتفسير وغيرها من أن العرب في بداية أمرها كانت على ملة إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - ... وأنها حادت فيما بعد عن هذه العقيدة الموحدة إلىٰ الشرك ... فإنّ ذلك الاعتقاد على انتشاره

---

(١) سورة المائدة ، الآية ( ٢٨ ) .
(٢) الحكمة العربية د . عبدالله الشاذلي ص ٢٨٨ .

وكثرة دورانه في كتب القدماء لايضر مع حقيقة أن عبادة الشرك كانت أسبق في تاريخ الديانة الجاهلية " .

ويعلل ذلك بأن النصوص التي نقلت الينا عن تلك الفترة لم يرد فيها إشارة إلى التوحيد فقال : إنَّ النصوص القليلة التي وصلت الينا عن هذه العبادة سواء ما حمله الشعر إلينا أو ما حفظته النقوش القليلة المكتشفة لا يشير إلى أن التوحيد كان معروفا لدى الجاهليين " (١) .

واستنتج مما سبق أن التوحيد جاء متأخراً فتابع قائلا : " وعلى العكس فإن هذه الإشارات ذاتها لتدل بما لا يدع مجالاً للشك على أن الميل إلى التوحيد قد أخذ يغزو العقلية العربية في أواخر العصر الجاهلي " (٢) .

وهو في اعتقاده هذا يستدل بأمرين أوهى من بيت العنكبوت ولا تقوم بهما حجة وهما :-

الأول : " أن عقيدة الإله الواحد قد أخذت تغزو نصوص الشعر الجاهلي كما قلنا في هذه الفترة المتأخرة من حياته " .

الثاني : " هو أن النصوص المكتشفة تزدحم في عدد كبير منها بأسماء الأصنام التي كانوا يتعبدون لها وليس فيها مايدل على معرفة عرب الجاهلية بعبادة التوحيد في حياتهم القديمة قبل الميلاد أو بعده " (٣) ، ونحن المسلمين لانعتقد هذا بل نعتقد أن الشرك أمر طارئ على أهل الجزيرة والتوحيد هو الأصل .

والكاتب في رأيه هذا اعتمد على رأيين لا تقوم بهما حجة لأنه بنى

---

(١) أرى عدم ذكر اسمه .
(٢) ، (٣) نفس المرجع والصفحة .

رأييه على الشعر الجاهلي وما ورد فيه من نصوص ، والشعر الجاهلي - كما قررت في فصل سابق على ضوء نصوص وأقوال العلماء - حديث عهد فأقدم شعر وصل إلينا لا يزيد في البعد عن مجئ الإسلام بمائتي عام على أقصى تقدير فكيف يصح لنا أن نعتمد على هذا الشعر اذا أردنا أن نعرف تاريخ ماقبله بآلاف السنين ؟ إن الشعر - إن صحت نسبته - لابد لنا إلا على عقيدة أهل الفترة التي قيل فيها . أما رأيه الثاني فيعتمد فيه على النصوص المكتشفة فنقول له : أين هذه النصوص؟ ومن هم الذين اكتشفوها ؟ والى أى تاريخ ترجع ؟ هل لدينا نصوص مكتشفة عن عقيدة آدم عليه السلام وذريته تفيد أنه لم يكن موحداً ؟ هل قال بهذا القول غير النصارى ومن والاهم من أعداء الدين اليهود الذين يريدون - بزعمهم - إرجاع الجزيرة العربية بل والعالم كله إلى الوثنية ؟ .

إذا عرفنا هذا وقررناه نريد أن نعرف متى بدأ ظهور الشرك بين العرب الموحدين على دين آبائهم إبراهيم وإسماعيل ؟

هناك عدة روايات للاجابة على هذا السؤال .

الأولى (١) : " ماروواه ابن الكلبى من أن إسماعيل بن إبراهيم عليهما

---

(١) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ولد في الكوفة وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ وقيل : سنة ٢٠٦ هـ له مؤلفات في تاريخ العرب القديم مثل كتاب الاصنام وكتاب النسب الكبير أو الجمهرة وأنساب الخيل في الجاهلية والاسلام وغيرها كثير ، راجع تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين المجلد الأول الجزء الثاني ص ٥١ ومابعدها ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية سنة ١٤٠٣ هـ .

الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفسوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكه ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً فتقسموا في البلاد والتماس المعاش ، وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان أنه كان لا يظعن ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابةً بمكه فحيثما حلّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم بها وصبابةً بالحرم وحباً له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكه ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه . . . فعبدوا الأوثان وصاروا الى ماكانت عليه الأمم من قبلهم وانتجشوا ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام منها على إرث مابقي فيهم من ذكرها "(١) .

أما الرواية الثانية فهي قصة عمرو بن لحي المشهورة ، قال الألوسي عنه : " فكان أول من غير دين إسماعيل عليه السلام فنصب الأوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة . . . عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدى وهو أبو خزاعة وكان الحرث هو الذى يلي أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرهماً ببني إسماعيل ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت ثم إنه مرض مرضاً شديداً فقيل له إن بالبلقاء من الشام حمّة(٢) إن أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرئ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال : ماهذه ؟ فقالوا : نستقي بها المطر ونستنصر

---

(١) الأصنام لابن الكلبي ص ٦ تحقيق أحمد زكى القاهرة سنة ١٩٢٤ م .

(٢) الحمه هي كل عين يخرج منها ماء حار يستشفى به .

بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (١) . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت عمرو ابن لحي يجر قصبه في النار (٢) " .

وتشير المصادر التاريخية إلى سبق حادثة إساف ونائله على عمرو ابن لحي (٣) ، قال الأزرقي : " إن جرهماً لما طغت في الحرم دخل رجل منهم بامرأة منهم الكعبة ففجر بها ويقال إنما قبّلها فيها فمسخا حجرين اسم الرجل إساف بن بغاء واسم المرأة نائله بنت ذئب (٤) فأخرجا من الكعبة فنصب أحدهما على الصفا والآخر على المروة وإنما نصبا هنالك ليعتبر بهما الناس ويزدجروا عن مثل ما ارتكبا لما يرون من الحال التي صارا إليها فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم حتى صارا يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة ثم صارا وثنين يعبدان فلما كان عمرو بن لحي أمر الناس بعبادتهما والتمسح بهما وقال : إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهما . . . وكان أهل الجاهلية يمرون بإساف ونائله ويتمسحون بهما وكان الطايف إذا طاف بالبيت يبدأ بإساف فيستلمه فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها (٥) " .

---

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب محمود شكرى الألوسى البغدادى ص ٢٠٠ ، والاصنام لابن الكلبي ص ٨ .

(٢) رواه البخارى في تفسير سورة المائدة راجع فتح البارى ٨/٢٨٣ حديث رقم ٤٦٦٣

(٣) أخبار مكه وما جاء فيها من الآثار ، تأليف أبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي تحقيق رشدى الصالح ملحس ١/١١٩ مطابع دار الثقافة مكه المكرمة ط ٤ سنة ١٤٠٣ هـ .

(٤) ورد اسمها إساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل أخبار مكه للازرق ١/١٢٢ ، وورد إساف بن يعلى ونائله بنت زيد ، بلوغ الارب للالوسي ١/٢٠١ ، وقيل غير ذلك .

(٥) سيأتي تفصيل الحديث عنهما عند ذكر أشهر أصنام العرب إن شاء الله .

وإني أعتقد أن هذه الحادثة ليس لها علاقة ببداية ظهور الشرك في أرض الجزيرة لأنه ليس فيها مايشير إلى ذلك ، ولقد مر بنا قبلاً أنهما كانا منصوبين للعظة والاعتبار قبل عمرو بن لحي ولم يعبدا حتى أمر هو بعبادتهما مع أصنامه التي جاء بها من البلقاء فيكون هو أول من أتى بالأصنام ، وأمر بعبادة إساف ونائلة . إنما التعارض واقع ظاهراً بين الرواية القائلة بأن عمرو بن لحي هو أول من أمر بعبادتها وبين رواية تفرق بني إسماعيل عليه الصلاة والسلام وإنه لا شك من تقديم قصة عمرو بن لحي لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما (١) .

(١) رواه البخارى في تفسير سورة المائدة باب ١٣ حـ ٥ ص ١٩١ .

## الفصل الرابع

## حال العرب السياسية قبل الاسلام

لقد أردت أن أتحدث في هذا البحث عن صورة عامة للمجتمع العربي قبل الاسلام من الناحية السياسية والاجتماعية والمعيشية ولكن الوقت داهمني فاقتصرت على ألصق جوانب حياتهم بموضوع البحث ألا وهو الجانب السياسي وذلك أني رأيت أن دور السياسة كبير في التأثير على تدين شعب ما : فأسباب الفقر وغيره التي كانت منتشرة في الجزيرة جعلت الناس يدينون بدين ملوكهم فالغساسنه مالوا إلى النصرانية بسبب حكم الرومان لهم والمناذرة مالوا إلى الفارسية لمجاورتهم إمبراطورية فارس واليمن دانت باليهودية لأن تبع أبو كرب تهوَّد على يد حبرين من المدينة - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - ثم تحولت اليمن إلى النصرانية بعد غزو الحبشة ثم دخلتها الفارسية مع الفرس فلا يستطيع أحد أن ينكر أثر الحالة السياسية للبلاد على دين شعبها .

## المبحث الأول

### صورة لحياتهم السياسية :-

لم تكن حالتهم السياسية قبل الإسلام تختلف كثيرا عن حالة العرب في القرن العشرين فكان الانقسام سمة واضحة في المجتمع الجاهلي والحرب بينهم لا تهدأ على أتفه الأسباب وهذا مماثل تماماً لظروف الحرب الحالية التي زادت على الست سنوات دون أى سبب يذكر .

وحالهم مشابهة لحالنا اليوم كذلك من حيث التبعية للدول الكبرى التي تضربهم ببعضهم البعض : " فقد اصطنع الفرس أمارة المناذرة والروم أمارة الغساسنة وحكام اليمن الحميريون أمارة كندة "(١) .

ثم يتحدث الدكتور الجبورى عن هدف الفرس والروم من اقامة هاتين الأمارتين - أى الغساسنه والمناذرة - فيقول :

" فقد هدف كلاهما من إقامة هاتين الأمارتين إلى حماية امبراطوريتهما

---

(١) أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي د . منذر الجبورى ، ص ٦٠ وزارة الاعلام / العراق / ١٩٧٤ م .

من غزو محتمل قد يقوم به أحدهما ضد الآخر إضافة إلى الحد من مضايقة أعراب البادية لهما "[1] .

انها نفس حالنا في عصرنا الحاضر أو كما يقول القائل إن التاريخ يعيد نفسه ، وكأنها حالة كتبت علينا أن نبقى لعبا في أيدى الفرس والروم قديما وروسيا وأمريكا حديثاً . وطبعاً عُرفنا بوفائنا للعهود وتلبية طلبات ساداتنا بكل سرعة .

يضيف الدكتور الجبورى قوله : " وتكفّل أمراء المناذرة والغساسنة بالمهمتين وخاضوا ضد بعضهم أياماً مريرة سعياً وراء إحكام السيطرة وتوسيع رقعة الأسارة وارضاءً للمتسلطين عليهم من فرس وروم "[2].

## المبحث الثاني

### أنظمة الحكم في الجزيرة العربية :-

لقد عرفنا فيما سبق أن عرب الجزيرة العربية كانوا عبارة عن قبائل متفرقة في صحراء الجزيرة الواسعة ولم يكن لهم مدن إلا القليل مثل مكة ، والمدينة ، والطائف ، ولهذا وجد عندنا نوعان من المجتمعات العربية مجتمع قبلي بدوى ومجتمع قبلي مدني ، ونتيجة لظروف كلٍ تغايرت الأنظمة السياسية الحاكمة ففي البادية كان النظام القبلي

---

(١) أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلى د . منذر الجبورى ص ٦٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ .

لـه دستوره الخاص به والذى يتحكم في سير الأمور في مرابع القبلية " والأساس الذى تقوم عليه نصوص هذا الدستور " العصبية " والمقصود بها النّعرة على ذوي القربىٰ وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة ... أو هي إحساس الفرد برابطة القبلية وواجب تأييد مصالحها والعمل لها بكل مايملك من قوة "(١) .

هذا هو مافهمه د . يوسف خليف عن معنى العصبية وما نظه عن غيره وقريبا من هذا الفهم أورده د . الجبورى حين قال : " وتعني العصبية في مفهوم ذلك العصر الولاء المطلق للقبيلة والامتثال لإجماعها وإن اقتضى ذلك تضحية بمصالح الأفراد "(٢) .

أما نظام الحكم السياسي في المدن فيختلف عنه في البادية " نظرا لأن الحياة المستقرة في المدينة تنمّي العلائق الاجتماعية والاقتصادية بين السكان وتوجد لهم أعرافا يلتزمون بها حماية لتطورهم الحضارى ولطموحهم المادى وذلك مالم يعن به أبناء البادية الذين فقدوا الوطن المستقر فاضطربت قيمهم وأنكروا النظم التي وضعها المتمدنون "(٣) . ولكن المجتمع المدني رغم تحضره وسيادة أفكار مغايرة لأفكار المجتمع البدوى إلا أنه لم يتخلّ عن العصبية القبلية ، يقول د . الجبورى : " ومع أن المجتمع المدني السياسي كان أكثر توطدًا

---

(١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلى د . يوسف خليف ص ٨٩ ومقدمة ابن خلدون ص ١٢٨ ومجمع الأمثال للميداني ٢/١٧ .
(٢) أيام العرب د . منذر الجبورى ص ٦٢ .
(٣) نفس المرجع ص ٦٣ .

من المجتمع البدوى فإن التعصب القبلي ظل شاخصاً في المجتمعين وإن اختلفت حدته بينهما ، وقد مثل الصراع بين الأوس والخزرج نموذجاً لذلك التعصب الذى لم يمحه التمدن "[1] .

وكانت القبائل لا تربطها رابطة من روابط الود والانسجام وحسن الجوار وإنما كانت الخصومة سمتها الطبيعية في أغلب الاحيان فكانت الحروب لا تهدأ إلا في أوقات محدودة كالأشهر الحُرُم .

وكانت الغلبة للأقوى والأكثر رجالاً وعتاداً ، فكان القوى يهجم على الضعيف فيقتل ويسبى وينهب وأكثر ما كانت تدور مشاحناتهم على الأراضي للرعي وعلى موارد الماء ، ولهذا كان لابد من توفير القوة لحماية النفس .

---

(١) أيام العرب منذر الجبورى ص ٦٥ .

## المبحث الثالث

# التحالف

كما سبق وأن أشرت إلى الحروب الدائمة وإلى حاجة الناس للقوة كان لابد من توفير أكبر عدد من الرجال لحماية القبيلة وما يخصها وللإغارة على الأعداء في وقت الحاجة .

### المطلب الأول : تعريف الحلف :-

هو بكسر الحاء وسكون اللام بعدها ، وهو مأخوذ من التحالف الذى هو بمعنى القَسَم أى أن كلاً من المتحالفين يحلف أيمانا عند التحالف ، يقول د . يحيى الجبورى :

" والحلف - كما هو ظاهر من اسمه - بمعنى اليمين الذى كانوا يُقسمونه في عهودهم "(1) .

### المطلب الثاني : دوافع التحالف :-

إن خوف الضعيف من غارة أعدائه عليه يجعله دائماً قلقاً مضطرباً لا ينام الليل إلا وسيفه تحت رأسه ولهذا كان لابد لدفع هذا الخوف والقلق من تكاتف مجموعة من القبائل أو الأفراد لتكوين قوة يطمئنون بها على أنفسهم وأموالهم وذراريهم .

---

(1) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه د . يحيى الجبورى ص٤٦ مؤسسة الرسالة ط٤ ، سنة ١٤٠٣ هـ .

يقول د . منذر الجبورى : " وكما كان النصر في تلك الحروب يستوجب كثرة في الرجال فقد وجدت القبائل في التحالف مع بعضها مايقيها شر الهزيمة واستباحة الديار "(١) .

ويقول د . أحمد الحوفي : " في هذه البيئة الحربية لم يكن بد من محالفات بين الفرد والفرد وبين الفرد والقبيلة وبين القبيلة والقبيلة لتعزيز القوة وتقوية الحماية "(٢) .

وتكون دوافع الحلف كذلك دوافع اقتصادية للغزو والنهب والسلب أو للأخذ بالثأر ، فقد لا تستطيع بعض القبائل الأخذ بثأرها من قبيلة أقوى منها فتتحالف مع قبيلة قوية لتتمكن من أخذ حقها من عدوها .

المطلب الثالث : تقاليدهم في الحلف :-

لقد وردت عدة صور للتحالف فمن هذه الصور أن ينحروا هديًا ويغمسون أيديهم في دمه .

وكانوا أحيانًا يغمسون أيدهم في طيب .

وورد أن أشياخ مكة عندما تحالفوا في حلف الفضول الذى عقد في دار عبدالله بن جدعان وحضره الرسول صلى الله عليه وسلم غمسوا أيديهم في ماء زمزم بعد أن غسلت به أركان البيت ، ومن تقاليدهم

(١) أيام العرب د . منذر الجبورى ص ٦٣ .
(٢) الحياة العربية د . أحمد الحوفي ص ٢٨٥ .

كذلك أن منهم من كانوا يتحالفون حول النار ، وهذه الشعيرة مأخوذة عن دين الفرس" المجوسية " .

يقول الدكتور الحوفي : " ومن تقاليد الحلف يغمس كل فريق يده في جفنة ملأى بالدم ثم يلعق كل رجل ما علق بيده وكانوا يسمون هؤلاء لَعَقَة الدم "(١) .

وأطلقوا على دم الحلف " الأسحم " . قال الفيروز آبادى : الأسحم : الدم الذى تغمس فيه أيدي المتحالفين .

وقال ابن منظور في قول الأعشى :

رضيعيَّ لبانٍ ثدي أمٍّ تحالفا ∴ بأسحم داج عوض لا نفترق

- قال ابن منظور - الأسحم في قول الأعشى الدم الذى تغمس فيه اليد عند التحالف(٢) . وأحياناً يغمسون أيديهم في عصارة بعض الثمار .

المطلب الرابع : مايترتب على الحلف :-

إن التحالف يؤدي إلى عصبية ومنعة بين المتحالفين بحيث يصبح كل واحد منهما يفدي الآخر بكل مايستطيع من قوة ومال ويبين لنا أهمية هذا الأمر عندهم أنهم يغمسون أيديهم في الدم ،وورد كثيراً

(١) الحياة العربية للحوفى ص ٢٨٦ والأغاني للأصفهاني ٧/ ٢٦ . وكذلك أيام العرب لمنذر الجبورى ص ٦٣ .
(٢) لسان العرب مادة حلف .
راجع كذلك الشعر الجاهلي ليحيى الجبورى ص ٤٦ - ٤٧ بتصرف . والحياة العربية للحوفي ٢٩٠ - ٢٩٣ .

أن بعض المتحالفين يحارب أبناء عمه وأقاربه لاعتداءهم على حليفه فهو يفدى حليفه حتى بروحه لأن من العار عندهم أن يضام الحليف أو يظلم ولهذا كانوا يتفاخرون بإعزازهم حلفائهم وحفظهم من كل مكروه.

المطلب الخامس : إعزازهم للحليف :-

كما سبق فإنه من الفخر أن يجد حليفك عندك الأمن والاطمئنان .

قال عبيد بن الأبرص :

إنّا لعمرُك لايضا ∴ م حليفنا أبداً لدينا

وقال :

نحمي حقيقتنا ونمنع جارنا ∴ ونلُف بين أرامل الايتام

وقال شاعر عندما اعتدى بنو عمه على حليف له اسمه حوشب :

سآخذ منكم آل حِزنٍ لحوشبٍ ∴ وإن كان مولىً لي وكنتم بني أبي
فقل لبني عمّي فقد " وأبيهمُ " ∴ مُنُوا بهريّت الشّدْقِ أسود أهيب
أفيقوا بني حِزنٍ وأهواؤنا معاً ∴ وأرحامنا موصولة لَمْ تُقْضَبِ

وكان الحليف يتنعم بكل خيرات مجيره ، قال عدي بن زيد السكوني :

إنّي حَمَدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ خَمَدَتْ
نِيرَانُ قَوْمِي وفِيهِمُ شَبَّتِ النَّارُ
ومن تَكَرُّمِهِمْ في الحِلِّ أَنَّهُمُ
لا يعلم الجارُ فيهم أَنَّه الجارُ

حتى يكون عزيزا من نفوسهم
أو أن يَبِينَ جميعاً وهو مختارُ
كأنّه صدعٌ في رأس شاهقة
من دونه لِعتَاقِ الطير أوكارُ

## المبحث الرابع

### معنى اليوم في الشعر الجاهلي

إن هذه الكلمة إذا أطلقت في الشعر الجاهلي فيكون معناها الحرب والوقائع المسلحة والتي كثيراً ما كانت تدور بين القبائل العربية في الصحراء نتيجة لظروف المعيشة القاسية والتناحر على موارد العيش وعلى الأرض وغيرها من الأسباب .

ولكن د . عادل البياتي يرد هذا الاطلاق ويقول : " وبهذا ندفع أن يكون مصطلح الأيام قد أطلقته الروايات العربية على الحروب التي قامت بين القبائل "(١) .

ويضيف قائلا : " لم نحصل من قدماء الرواة ولا العلماء على تعريف واضح لكلمة يوم لكن ابن السّكّيت فسر الأيام بمعنى الوقائع وتابعه غيره في ذلك، قال : جاءت الايام بمعنى الوقائع ... وأما مايقال من أن المقصود بالأيام الحروب التي قامت بين القبائل العربية فهو قول يتهافت إزاء ماكشفته الأيام عن مضامين فكرية تصبح الحرب تجاهها هدفاً سامياً "(٢) .

وهو لا يردُّ أو ينكر إطلاق الأيام على الحروب نهائياً ولكنه يستنكر على من يأخذه كأمر مسلم به فيقول : " فهي لدى الباحثين قدماء

---

(١) الأيام لابي عبيدة تحقيق د . عادل جاسم البياتي ، دار الجاحظ بغداد ١٩٧٦ م ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٥ .

ومحدثين محض وقعات حربية ولسنا نستغرب هذا التحديد من ابن السكيت وغيره ولكننا نستغرب أن يأخذه المُحْدَثُون كمسلمات أو فرضيات علمية "(١).

ويقول د. علي الجندى : " إن استعمال كلمة يوم في الوقائع والحروب استعمال مجازي لهذه الكلمة لأن هذه الكلمة معروف معناها في اللغة . . "(٢).

ويقول : " وقد وردت كلمة الأيام مستعملة هذا الاستعمال المجازى في ثلاث آيات من القرآن الكريم ، الآية الأولى : قوله تعالى : (( فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِم ))(٣) قال الطبرى وقائع الذين من قبلهم(٤).

وقال الزمخشرى :أيام الله فيهم ، كما يقال أيام العرب لوقائعها(٥).

الآية الثانية : هي قوله تعالى : (( وذكِّرهُم بأيَّام اللَّه ))(٦).

قال الزمخشرى : وذكِّرهم بأيَّام الله وأنذرهم بوقائعه التى وقعت على الأمم قبلهم "(٧).

---

(١) الأيام لابي عبيدة تحقيق د. عادل جاسم البياتي ، ص ٦٧ .

(٢) شعر الحرب في العصر الجاهلي ، علي الجندى ص ٢٣ ومابعدها ، ط ٣ سنة ١٩٦٦ م ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت .

(٣) إن نظرية الحقيقة والمجاز في علوم اللغة العربية نظرية لا أساس لها في اللغة ولم توجد في أشعار العرب الذين أخذت عنهم اللغة ولا توجد في القرآن ولا الحديث ولكنها نظرية من وضع المعتزلة وضعوها في عقول الناس حتى أصبحت أمرا مسلماً به وأرادوا من وراء هذا تأويل صفات الرب تعالى والتى لا تتفق مع آرائهم .

(٤) يونس آية ١٠٢ . (٥) تفسير الطبرى ١١/ ١٢١ . (٦) الكشاف للزمخشرى ٢/ ٣٧٣ .

(٧) ابراهيم آية ٥ (٨) الكشاف للزمخشرى ٢/ ٥٤١ .

الآية الثالثة : قوله تعالى : (( قُلْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))(١) .

وفي تفسير هذه الآية يقول الطبري رحمه الله : " قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه "(٢) .

وقد ورد لفظ اليوم في الشعر العربي الجاهلي على هذا المعنى السابق الذي أوردته آنفا ولكن لا مانع من ورودها بمعان أخرى كالدهر والنعمة والنقمة وهذه معانٍ عامة نادرًا ما كانت ترد في الشعر الجاهلي .

وهذه بعض أشعار العرب التي وردت فيها الكلمة بمعنى الحرب أو الوقيعه : قال عمرو بن كلثوم :

وَأَيَّامٌ لَنَا غُرٌّ طِوَالٌ ∴ عصينا الْمَلْكَ فيها أن نَدِينَا

يعلق د . الجبوري على هذا المعنى قائلا : فقد قصد بالأيام هنا حروب قومه "(٣) .

وهذا النابغة الذبياني(٤) يمدح عمرو بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني يوم هزيمة المناذرة فيقول :

---

(١) الجاثية ١٤ .
(٢) تفسير الطبري ٢٥/٨٦ ، ٨٧ .
(٣) أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي د . منذر الجبوري ص ٧٣ .
(٤) هو زياد بن معاوية بن غيظ بن مره من ذبيان من قيس من مضر وكنيته أبو أمامه ولقّب بالنابغة لنبوغه في الشعر وهو كبير دفعة واحدة بعد أن أحكمته التجارب ومشى به السن " أشعار الشعراء الستة الجاهليين اختيار يوسف ابن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري د . محمد خفاجي ، ط ١ ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ، نشر مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي .

ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم
لَهُنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

تَوَرَّثْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَومِ حَلِيمَةَ (١)
إلىٰ اليومِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارُبِ (٢)

ويقول قيس بن الخطيم الأوسى مفتخرا بانتصار الأوس على الخزرج في يوم بُعاث المشهور :- (٣)

أُجادِلُهُمْ يَومَ الحَدِيقَةِ حاسِرًا
كأن يدىَّ السيفِ مِخْرَاقَ لاعبِ

ويومَ بُعَاثٍ أَسْلَمَتْنَا سُيُوفُنَا
إلى نَسَبٍ في جَذْمِ غَسَّانَ ثاقِبِ (٤)

وقال مهلهل يرثي أخاه كليب :

فلو نُبِشَ المَقَابِرُ عن كُلَيْبٍ
فيُخبرُ بالذنابِ أىُّ زِيرِ

بيومِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّعَيْنَا
وكيفَ لقاءُ مَنْ تَحْتَ القُبُورِ

---

(١) وهو يوم انتصرت فيه الغساسنه على المناذرة وحليمة هذه ابنة الحارث ابن أبي شمر . . . وكانت ضمخت عسكر أبيها عند رجوعهم منصورين بالطيب فقيل في المثل " ما يوم حليمه بسر " نفس المرجع ص ٢٠٥ .
وقيل أنها ضمختهم عند ذهابهم للمعركة ووعدها أبوها بأن يزوجها أشجع جنوده في الحرب .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١١ دار صادر ١٩٦٠م بيروت وشعر الحرب في العصر الجاهلي لعلي الجندى ص ٣٠٣ .

(٣) هو أبو يزيد قيس بن الخطيم - واسم الخطيم ثابت - بن عدى بن عمرو بن سواد ابن ظفر - واسم ظفر كعب - بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة . ديوانه ص ١١ تحقيق د . ناصر الدين الأسد . دار صادر ط٢ بيروت ١٣٨٧ / ١٩٦٧ م

(٤) المرجع السابق ص ٨٨ - ٨٩ .

ويقول عبيد بن الأبرص :

يَا أيُّهَا السائِلُ عَنْ مَجْدِنَا ∴ إنَّك عَنْ سَعْدَاتِنَا جَاهِلُ

إنْ كُنْتَ لَمْ تَأْتِكَ أيَّامُنَا ∴ فَاسْأَلْ تُنَبَّأْ أيُّها السائِلُ

سَائِلْ بِنَا حِجْرًا وأَجْنَادَهُ ∴ يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الجَحافِلُ

يَوْمَ أَتَى سَعْدًا على مأقِطٍ ∴ وجادَلَتْ مِنْ خَلْفِهِ كاهِلُ

فنجد أن كلمة يوم أتت هنا بمعنيين ففي البيت الثاني معناها حروبنا ووقائعنا أما في البيتين الثالث والرابع فجاءت ظرفا للزمان بمعنى حين .

ويبقى أن أشير إلى أن الجاهليين لا يقصدون باليوم الليل والنهار إنما يقصدون به النهار فقط دون الليل لأن وقائعهم كانت تجرى في النهار وتتوقف في الليل ، يقول د . على الجندى : وظاهر من قصص الأيام أنهم كانوا يقصدون من اليوم في هذا الاستعمال معنى النهار فقط لا معناه الذى يشمل الليل والنهار .(١)

---

(١) شعر الحرب د . على الجندى ص ٢٦ وراجع لسان العرب لابن منظور مادة يوم .

# الفصـــل الخـــامـــس

## تعـــريـــف الديـــــــــن

## المبحث الخامس تعريف الدين :-

### تمهيد :-

بما أنني سأتعرض في بحثي هذا للأديان في الجزيرة العربية وتاريخها، فلا بد لي من تقديم تعريف للدين لأن من أديان العرب في الجاهلية ما هو سماوي له كتاب ومنها ما هو وضعي من وضع الأهواء .

ولا نشك في أن كل اعتقاد من تلك الاعتقادات يصح أن يطلق عليه لفظ دين بدليل قوله تعالى : (( لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ))(١) فقد سمّى الله سبحانه وتعالى اعتقاد الكفار الوثنيين وغيرهم دينا وسيتبين لنا ذلك بوضوح عند الرجوع إلى كتب اللغة لمعرفة معنى كلمة دين عند العرب ثم الرجوع إلى تعاريف المسلمين ، وغيرهم للدين اصطلاحا :

### المبحث الأول : تعريف الدين لغة :-

قال ابن منظور " الدين الطاعة وقد دِنْتُهُ ودِنْتُ لَهُ أي أطعته قال عمرو بن كلثوم :-

وأياماً لنا غراً كراماً ∴ عصينا المَلْكَ فيها أَنْ ندينا .(٢)

وقال الجوهري : " الدين الطاعة ودان له أي أطاعه " .(٣)

---

(١) سورة الكافرون ، الآية ( ٦ ) .

(٢) لسان العرب ابن منظور ١٦٩/١٣ .وقد ورد هذا البيت باعراب آخر ص ٥٠

(٣) الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ٢١١٨/٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ٢ سنة ١٩٧٩ م .

والدين يأتي أحياناً للدلالة على العادة فتقول العرب مازال ذلك ديني ودَيْدني أي عادتي ويستدل على ذلك بقول المثقب العبدي يذكر ناقته :

تَقُولُ إذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي ∴ أَهَذَا دِينُهُ أَبَداً ودِينِي ؟

ويستدل كذلك بقول الشاعر :

..... ∴ كَدِينِكِ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا

أي كعادتك

وقال أبو ذؤيب :

أَلاَ يَاعَنَاءَ القَلْبِ مِنْ أُمِّ عَامِرٍ ∴ وَدِينُكِ مِنْ حُبِّ مَنْ لا يُجَاوِرُ (١)

وقال الجوهريّ : " الدِّين - بالكسر - العادة والشأن " (٢) .

ويأتي الدين بمعنى الإذلال والاستعباد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ " (٣) .

قال البغوى : " دان نفسه أي استعبدها وأذلها ، ودنت القوم أي فعلت بهم ذلك " (٤) .

ولكننا إذا رجعنا إلى كلمة دان نجد أنَّها لا تتعدى ثلاثة أحوال فيأتي الفعل متعدياً بالهاء أي دانه بمعنى ألزمه ، ومتعديا باللام أي دان

---

(١) اللسان ١٣/١٦٩ .
(٢) الصحاح ٦/٢١١٧ .
(٣) رواه أحمد ٤/١٢٤ ، والترمذى ( ٢٤٦١ ) وابن ماجه ( ٤٢٦٠ ) وفي طرقه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف .
(٤) شرح السنة للبغوى تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط ١٤/٣٠٩ حديث رقم ٤١١٦ ، ٤١١٧ .

له بمعنى التزم له ومتعديا بالباء أى دان به أى اعتقده . والأخير هو ما يخصنا . قال د . دراز :وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً ، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطانا وحكما وإلزاماً "(١) .

## المبحث الثاني : تعريف الدّين اصطلاحًا :-

إذا رجعنا إلى كتب علماء الأديانِ والفلاسفة باحثين بين صفحاتها عن تعريف دقيق للدين نجد أن هناك عدة آراء ولكنّها تنقسم في نهايتها إلى اتجاهين الاتجاه الأول هو تعريف الإسلاميين ، والثاني هو تعريف الفلاسفة ، فالاسلاميون عرّفوا الدين بأنه وضع إلهي يرشد الى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات "(٢) .

أما تعريفات غير الاسلاميين فكثيرة كلها غير جامعة ولا مانعة . فيقول سيسرون " الدين هو الرباط الذى يصل الانسان بالله "(٣) .

ويقول " كانْت " : " هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية " ويقول شلاير ماخر : " هو خضوع الإنسان لموجود أسمى منه " .

---

(١) الدين د . محمد عبدالله دراز ص٢٧ مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٩ هـ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٩ .

ويقول ريفيل : تحقيق الحياة الإنسانية بواسطة الإحساس بأن رابطًا يصل الروح الإنسانية بالنفس الخفية التي تعترف الأولى بمالها من سلطان على العالم وما عليها والتي يجب أن تكون شاعرة بالاتصال بها دائمًا " .

ويقول فيورباخ : هو الغريزة التي تدفعنا إلى السعادة " .

ويقول سبنسر : هو الإحساس الذى نشعر به حينما نخوض في بحر من الأسرار " (١) .

ونلاحظ على هذه التعريفات كلها أنها جاءت متباينة المعنى بعضها يعتمد على فكرة السعادة وبعضها على المعاملات بين بني البشر وبعضها على فكرة وجود إله وبعضها على فكرة الروحانيات والأسرار ، وسبب ذلك - في نظرى - أنها جاءت عن فلاسفة حكّموا العقل دون غيره . ولكن العجيب أن نجد د . النشار نفسه يعرّفه بتعريف يشذ فيه عن تعريف الإسلاميين بل إنه لم يذكر تعريفًا للإسلاميين أما غاية ما قاله فهو : " وعلى العموم لا يمكننا أن نعرّف الأديان بفكرة الاعتقاد في الآلهة والأرواح وليست وجود فكرة إله ... هي العنصر الهام المميز للحياة الدينية " (٢) . وقوله هذا إن كان يقصد به جميع الأديان فهو بيّن البطلان لأنه لابد من أن يُفرّق بين الدين الحق وغيره فتعريفه هذا يبدو أنه يشمل الدين الحق ، وغيره .

---

(١) نشأة الدين ، علي سامي النشار ص ٢٠ ومابعدها ، دار نشر الثقافة بالاسكندرية ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م ، والدين د . محمد عبدالله دراز ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) نشأة الدين ص ٢٣ .

# الباب الثاني

# أديان العرب في الجاهلية

## الفصل الأول

## اليهودية في الجزيرة العربية

* المبحث الأول :

اليهودية في يثرب ، وفيه مطالب :

* المطلب الأول : تاريخ دخول اليهود يثرب .
* المطلب الثاني : أشهر قبائلهم .
* المطلب الثالث : حالتهم السياسية .
* المطلب الرابع : حالتهم الاجتماعية
* المطلب الخامس : حالتهم المعيشية .
* المطلب السادس : علاقتهم بجيرانهم من العرب .
* المطلب السابع : هجرة الأوس والخزرج الى يثرب .
* المطلب الثامن : فتنتهم بين الأوس والخزرج .

* المبحث الثاني :

اليهودية في اليمن .

* المبحث الثالث :

أشهر شعراء اليهود في العصر الجاهلي .

# اليهـــودية

* تمهيـــد :

هي ديانة رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم الذى أرسلـه إلى بني إسرائيل خاصة ليخرجهم من مصر ، فهي ديانة شعب بـــني إسرائيل دون غيرهم ولهذا نجدهم لا يحرصون على نشرها بين غيرهـم وانتقل بنو إسرائيل من مصر واستقرّوا في فلسطين ، وقد وجدوا منـذ عصور مبكرة على أرض الجزيرة العربية خاصة في منطقتي يثرب واليمـن ، وأقاموا علاقات تجارية واجتماعية مع أهل تلك الديار حتى أنهم أصبحوا كأنهم من أهلها لأنهم تكلموا بالعربية ونظموا بها شعرًا لهم ، مـا جعل البعض يظنُّ أنهم عرب أرومةً .

وسأتحدث -إن شاء الله تعالى - عن تاريخ دخولهم الجزيـرة وعن أسباب هجرتهم إليها وعن قبائلهم وهل كان من بينهم عـرب أصلاً ؟

هذا بالإضافة إلى الحديث عن حالتهم السياسية والمعيشيـة والاجتماعية وأشهر شعرائهم ، والله ولي التوفيق .

## المطلب الأول

### تاريخ دخول اليهود يثرب

لقد جاءتنا عدة روايات وأخبار عن تاريخ دخول اليهود في الجزيرة العربية ومن هذه الأخبار :

١- أن موسى عليه الصلاة والسلام بعث إلى العماليق جيشًا من بني إسرائيل وأمرهم أن يقتلوهم جميعا ولا يستبقوا منهم أحداً، فقدم الجيش الحجاز فأظهرهم الله على العماليق فقتلوهم أجمعين إلّا ابنا للأرقم كان وضيئا جميلا ضنّوا به على القتل وقالوا نذهب به إلى موسى فيرى رأيه فيه، فرجعوا إلى الشام فوجدوا موسى قد توفي ، فقالت لهم بنو إسرائيل : ما صنعتم ؟ ، فقالوا : أظهرنا الله عليهم فقتلناهم ولم يبق منهم أحد غير فلان كان شابا جميلا فنفسنا به على القتل وقلنا نأتي به موسى فيرى فيه رأيه ، فقالوا لهم : هذه معصية قد أُمرتم ألا تستبقوا منهم وألّا تدخلوا علينا الشام أبداً ، فلما صنعوا ذلك قالوا : ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز نرجع إليهم فنقيم بها فرجعوا إلى حاميتهم فنزلوها فكان ذلك الجيش

---

(١) وامتد التأثير كذلك إلى لغتهم فنجد أنهم سموا الأمطار حيا أو غيث لأنها تعتبر بالنسبة لهم كالحياة بعد الموت .

(٢) راجع بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب - محمود شكرى الألوسي (٣٠١/٢) دار الكتب العلمية .

أولى سكنىٰ اليهود بالمدينة [1] .

٢- وهناك رأى ثانٍ حول دخول اليهود الجزيرة وهو أن اليهود نزحوا إلى المدينة بعد النكبات التي حصلت لهم في فلسطين يقول أصحاب هذا الرأى : " ولكن من الراجح أن اليهود نزحوا إلى الحجاز في بعض النكبات التي أصابتهم وإن كان نزوحهم ثابتاً لَمَّا هدم بختنصر بيت المقدس وأجلى من أجلى وسبى من سبي من بني إسرائيل ففر قوم منهم إلى الحجاز فنزلوا وادى القرى ويثرب وتيماء [2] " .

ويضيف هؤلاء قولهم : " ومن المحتمل أن الأنباط حين غزوا فلسطين أسروا كثيرا من اليهود وأن هؤلاء الأسرى وغيرهم يمموا شطر الجنوب موغلين [3] " .

٣- رأى ثالث يقول : " أنه بعد انتصار الروم على اليهود بالشام وسبي نسائهم وأموالهم فر بنو بهدل وبنو النضير وبنو قريظة إلى الحجاز لحاقا باخوانهم بني قينقاع وبني محم وبني زعورا الذين فروا من وجه بختنصر [4] " .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/ ٤٠١) ، وتاريخ ابن خلدون المسمى العبر ، وديوان المبتدأ والخبر (٢/ ٥٩٤ و ٨٢) .

(٢) قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي تأليف عبدالله عبدالجبار ومحمد خفاجي ص : ١٤٠ .

(٣) المرجع نفسه : ص ١٤٠ .

(٤) شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج - محمد العيد الخطراوى ص : ٣٦ - دار القلم - بيروت ط ١ .

٤- رأى رابع وهو أن موسى عليه السلام حج بقومه إلى بيت الله الحرام وفي طريق رجوعه تخلف قوم منهم بيثرب (١) .

٥- ورأى آخر يقول : إنهم ذهبوا إلى تلك المنطقة لعلمهم من التوراة أنه سيبعث فيها نبي فسكنوها انتظارا لهذا النبي (٢) - صلى الله عليه وسلم - .

هذا وقد تحدث كثير من المؤلفين حول هذا الموضوع وأكثروا حوله النقاش (٣) .

وهذه الآراء وغيرها قد يكون لبعضها وجه من الصحة من جهة المعنى أو الاحتمال العقلي أما سندها فلا علم لنا به ، ولكن هناك رد أو تفنيد لبعض هذه الآراء ، فالرأى القائل بحج موسى عليه السلام رأى مردود مرفوض لأنه لم يثبت في أى مصدر تاريخي عربي أو عبراني أن موسى عليه السلام حج بل إنه مات في سيناء بعد خروجه من مصر .

وإن د . جواد علي قد عقب على هذه الآراء فأيد بعضها ورد (٤)

---

(١) المرجع السابق ص : ٣٦ .

(٢) نفس المرجع والصفحة - بتصرف .

(٣) راجع : تاريخ الطبرى ( ٢٨١/١ ) ، وفتوح البلدان ( ٢٣/٢١ ) ، للبلاذرى ، ومعجم البلدان ( ٤٢٨/٧ ) ، واليهود بين الدين والتاريخ أ .صابر طعيمة ص : ٤١٩ ،

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - د .جواد علي ( ٥١٧/٦ ) مكتبة النهضة بغداد - ودار العلم للملايين بيروت - ط ٣ ١٩٧٦ م

البعض الآخر فقال : " وقد أخذ أهل الأخبار ما رووه عن دخول اليهود إلى يثرب في أيام موسى وما ذكروه من إرساله جيشا إلى هذه المنطقة ثم ما رووه عن سكنهم القديم في أطراف المدينة وفي أعالي الحجاز من سفر ( صموئيل الأول ) من التوراة ، وقد أخذ الإخباريون رواياتهم هذه من اليهود ومن دخل منهم في الإسلام "(١) ويضيف قائلا : " وليس الذى يرويه أهل الأخبار .... وأمثال هذا إلا قصصا من هذا النوع الذى ألفنا قراءته في كتب أهل الأخبار ، لا أستبعد أن يكون مصدره يهود تلك المنطقة أو من أسلم منهم لإثبات أنهم ذوو نسب وحسب في هذه الأرضين قديم ... وأن تاريخهم في هذه البقعة يمتد إلى أيام الأنبياء وابتداء إسرائيل "(٢) .

ردَّ الدكتور " جواد على " هذه الرواية على قائليها وأورد علة مقبولة عقلا وهي أن مصدر هذه الروايات يهودى ولإثبات علو النسب والأصل في هذه الأرض،وذلك يتضح تماما عندما نعلم أنهم الآن وفي هذا العصر يطالبون في مخططاتهم باسترجاع أرض الأجداد في خيبر وتيماء لأنهم يعتبرون أن الإسلام اغتصبها منهم ويعتبرونها جزءا من دولة إسرائيل التي لا تتجزأ - في نظرهم - .

وناقش د." جواد على " آراء أخرى فأثبتها بعد أن رد الأولى فقال حول دخولهم فارين من وجه بختنصر : " وليس في هذا الخبر ما يحملنا على استبعاده فهروب اليهود إلى أعالي الحجاز ... أمر

---

(١)،(٢) المرجع السابق ( ٦/٥١٧ ) .

سهل يسير .... ولا يوجد أى مانع يمنع اليهود أو غير اليهود من دخول الحجاز لا سيما وأن اليهود كانوا خائفين فارين بأنفسهم من الرعب فهم يبحثون عن أقرب ملجأ إليهم يحميهم من فتك ملك بابل بهم وأقرب مكان مأمون إليهم هو الحجاز "[1] .

وقد أضاف د. جواد علي في معرض حديثه عن الرأى الثالث الذى نقلته سابقا فقال : " أما ما ورد في روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود إلى أطراف يثرب وأعالى الحجاز على أثر ظهور الروم على بلاد الشام وفتكهم بالعبرانيين وتنكيلهم بهم مما اضطر ذلك بعضهم إلى الفرار إلى تلك الأنحاء الآمنة البعيدة عن مجالات الروم فإنه يستند إلى أساس تأريخي صحيح فالذى نعرفه أن فتح الرومان لفلسطين أدى إلى هجرة عدد كبير من اليهود إلى الخارج فلا يستبعد أن يكون أجداد يهود الحجاز من نسل أولئك المهاجرين"

## المطلب الثاني

## أشهر قبائل اليهود في يثرب

اليهود في جزيرة العرب على قسمين قسم يهود أصلا أى من بني اسرائيل وهم الغالب والأكثر ، وقسم تهودوا لأسباب منها : " أن المرأة المقلات في الجاهلية كانت تنذر إن عاش لها ولد أن تهوده فتهود قوم منهم "[2] ،

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ د .جواد على (٦/٥١٨) .

(٢) المرجع السابق (٦/٥١٥) .

ويقول د. جواد علي : " ويظهر من مواضع من التلمود أن نفرا من العرب دخلوا في اليهودية ... وفي هذه الروايات التلمودية تأييد لروايات أهل الأخبار التي تذكر أن اليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة وغسان "(١) ، ويروى أن أهل اليمن تهودوا بأسرهم ذلك لأن تُبَّعاً حمل معه حبرين إلى اليمن "(٢) ، أما عند انتشار النصرانية في جنوب الجزيرة فاننا نجد " ذا نواس آخر الملوك الحميريين يعتنق اليهودية ويحاول القضاء على المسيحيين في نجران "(٣) .

وهذه أسماء أشهر القبائل اليهودية الإسرائيلية في الجزيرة العربية :

١- بنو أنيف وهم حي من بلي كانوا يسكنون قباء ولهم آطام عند بئر عذق ، قال شاعرهم فيها :

ولو نَطَقَتْ يَوْماً قُبَاءُ لَخَبَّرَتْ
بأنَّا نَزَلْنَا قَبل عادٍ وتبع
وآطَامُنَا عاديةٌ مُشَمْخِرَةٌ
تلوحُ فتنكى مَنْ نُعادي وَتَمْنَع

٢- بنو قريظة : وكانوا يسكنون الحَرَّةَ المسماة باسمهم حتى اليوم

---

(١) نفس المرجع السابق (٦/٥١٤) .

(٢) تاريخ اليعقوبي (١/٢٢٦) دار صادر بيروت ، ١٩٦٠ م .وتبع أول من كسى الكعبة ، وسيرة ابن اسحاق (١/١٥) .

(٣) العصر الجاهلي - شوقي ضيف ص : ٢٨ ، دار المعارف بمصر ط ٧

ومن أشهر آطامهم بَلْحَان وكان لكعب بن أسد ، وله يقـــول الشاعر :

مَنْ سَرَّهُ رُطَـبٌ وماءٌ بَـــارِدُ
فَلْيَأْتِ أهـلَ المَجْدِ مِنْ بَلْحَـــان

(١)

وكان يسكن معهم بنو بهدل وبنو عمرو .

٣- بنو قينقاع : وكانوا عند منتهى جسر بَطْحَان مما يلي العاليـــة ومن هؤلاء كان الصحابي الجليل عبدالله بن سلام .

٤- بنو حجر وبنو ثعلبة : كانوا يسكنون قرية زُهرة وهي من أعظـــم قرى المدينة وكانت في منطقة الجرف إلى جهة البِرْكة .

٥- يهود راتج : ولهم أَطُم يحمل هذا الاسم ، قال قيس بـــن الخطيم :

أَلاَ إِنَّ بَيْنَ الشَّرْعَبِيِّ وراتِـــجٍ
ضَرْبًا كتخذيلِ السيالِ المعضَـــد

(٢)

وقد بلغ عدد القبائل اليهودية إحدى وعشرين قبيلة ، إلّا أنـــي اقتصرت على أشهرها وهي التي كان لها دور في التاريخ ومواقف مـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣)

---

(١) ذكر د .محمد السيد الخطراوى في كتابه شعر الحرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج بهدل بدون الباء وهذا تصحيف أو خطأ مطبعـــي ، والصحيح بهدل بالباء .

(٢) شعر الحرب - محمد الخطراوى (٣٩/٤١) بتصرف .

(٣) من أراد التعرف على المزيد من ذلك ، يرجع إلى المرجع السابق والى المفصل لجواد علي (٦/٥١٩) وما بعدها .

## المطلب الثالث

## الحالة السياسية

كان اليهود عدة قبائل كما تقدم القول ، ولكنهم كانوا يتصفون بحياة المدنية أكثر من اتصافهم بالبداوة قال د. جواد علي : " ويفهم من روايات الإخباريين أن يهود الحجاز كانوا قبائل وعشائر وبطونا منهم : بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وبنو عكرمة وبنو محم وبنو زعورا وبنو زيد وبنو الشظيَّة وبنو جشم وبنو بهدل وبنو عوف وبنو القصيص ( العصيص ) وبنو ثعلبة ، غير أنهم لم يكونوا أعراباً أى بدوًا يتنقلون من مكان إلى مكان بل كانوا حضرًا استقروا في الأماكن التي نزلوا فيها ومارسوا مهن أهل المدر "[1] ، وقد كثرت التوترات بين قبائل اليهود ، ويدلنا على ذلك الكثير من الأخبار ، " وقد أدى التنافس بين سادات اليهود إلى نشوب معارك بينهم في الجاهلية وقد أشار إليها القرآن الكريم وأنَّبهم على ذلك واضطرت بنو قينقاع بسبب ذلك ... إلى الالتجاء إلى أحياء يثرب وإلى محالفة الخزرج وفي مقابل ذلك تحالفت بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس فصاروا فرقتين مع الخزرج وفرقة مع الأوس "[2] .

وقد وقعت بينهم وقائع وحروب ، يدلنا على ذلك أنهم أسروا بعضهم البعض وقتل بعضهم بعضا ، وقد أنَّبهم القرآن الكريم على ذلك ولإخراجهم بعضهم بعضاً من ديارهم فقال تعالى : " وإِذْ أَخَذْنَا

---

(١) المفصل في تاريخ العرب ـ د. جواد على ( ٥٢٢/٦ ) .

(٢) المرجع السابق ( ٥٢٣/٦ ) .

مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١) )) ، فنرى الله سبحانه وتعالى يعاتبهم على فعلهم هذا ، وذلك يعتبر نقضاً منهم لميثاق الله الذى أخذه عليهم ، ونجد كذلك وجود فوارق بينهم في أداء الدية في القتلىٰ فيما بينهم وعند اختلافهم في هذا رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله قوله : (( وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٢) )) .

وروي عن ابن عباس أنه قال : كانت قريظة والنضير وكان النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودي مائة وسق من تمر فلما بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه إلينا لنقتله ، فقالوا بيننا وبينكم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فنزلت ((وإن حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ (٣) )) .

---

(١) البقرة / آية (٨٤-٨٥) .
(٢) المائدة / آية (٤٢) .
(٣) ذكرت هذه القصة في كتب التفسير عند الحديث عن سبب نزولها وراجع جامع النقول في أسباب النزول ـ تأليف ابن خليفة علىوى مطابع الاشعاع بالرياض ـ ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ .

وقد كان حكامهم لا يحكمون بينهم بالعدل ولذلك انتشرت الرشوة وغيرها من المحرمات والتي سأتحدث عنها عند الحديث عن الحالة الاجتماعية لهم .

وذلك ما دعاهم إلى التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم التحاكم إلى حكامهم .

" وذكر أن حُيي بن أخطب كان قد حكم أن للنضرى ديتان وللقرظي دية لأنه كان من بني النضير"(١) .

يقول د . جواد علي : " وذكر أهل الأخبار أنه كان لليهود حكام يحكمون بينهم ويقيمون حدودهم عليهم فلما جاء الرسول إلى يثرب صار اليهود يعترضون على عدالة حكم بعضهم ولا يرضون بتنفيذ أحكامهم عليهم فكان الحكام أو هم يذهبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لكي يحكم بينهم "(٢) .

هذا بالاضافة إلى ما وقع عليهم من ظلم من حكامهم مثل الغطيون حيث ( استبد بأمر الناس وكان يهوديا من بني ثعلبة وكان امرأ سوء ، فاجراً ، قرر ألا تدخل امرأة على زوجها إلا بعد دخولها عليه )(٣) .

---

(١) الطبرى (١٥٧/٦) عند الحديث عن تفسير الآيات السابقة ، وفي ظلال القرآن - لسيد قطب (٧٣٤/٢) دار احياء التراث - بيروت - ط ٥ - ١٣٨٦/١٩٦٧م .

(٢) د . جواد علي (٥٣٥/٦) .

(٣) المرجع السابق (٥٢٠/٦) .

وستأتي قصته مع مالك بن العجلان السالمي الذى قتله - قتل الغطيون - وأراح الناس يهوداً وعرباً من شره (١) .

## المطلب الرابع

## الحالة الاجتماعية

لقد انتشر بين اليهود في يثرب وما جاورها من القرى الظلم وهذا قد عرفناه في المبحث السابق ، ولكنّ هذا الظلم كان له نتائج خطيرة أدت إلى انحلال المجتمع اليهودى خلقيا ودينيا ، فانتشر بينهم الربا وهذا المرض كان نتيجة لحبهم الشديد للمال ، ولإن فقر العرب والمجاورين لليهود وحاجتهم أدت بهم إلى التعامل مع اليهود الذين كانوا يملكون زمام الاقتصاد في المنطقة ، فلم تَضِعْ الغرضة على اليهود من التعامل بالربا الفاحش وأكل أموال الناس بالباطل وقد نهاهم الله عن ذلك ، إذ ورد في كتبهم : " لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يُعرض بربا لأجنبي " (٢)

ونحن المسلمين لا نعتقد - أدنى اعتقاد - أن هذا الكلام من قول الله سبحانه وتعالى ، لأن الله تعالى حرم الربا بين جميع خلقه لا بين قوم وآخرين وهم يقصدون الأجنبي هنا غير اليهودى فإنه لا مانع عندهم من معاملته بالربا بل إنهم لا يجدون حرجا في أكل أموال الأمم الأخرى ، ولو بدون حق أيّ حق ، قال الله تعالى عنهم (( قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ )) (٣) .

---

(١) شعر الحرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج - محمد الخطراوى ص : ٤٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٢١/٦) .

(٢) سفر التثنية - الاصحاح (١٩/٢٣) .

(٣) آل عمران / الآية (٧٥) .

وتذكر الروايات التاريخية انتشار الربا الفاحش بين اليهود أنفسهم في الجزيرة العربية ، وربما يرجع ذلك إلى أنهم ليسوا متمسكين تمسكا جيدا بكتابهم ، ولا شك في ذلك فلو تمسكوا به لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى كانوا هم أنفسهم يبشرون به ويتهددون عرب الجاهلية به .

" ويذكر أهل السير والأخبار أن يهود يثرب كانوا إذا تضايقوا من الأوس والخزرج هددوهم بقرب ظهور نبي يستعلون به عليهم "(١) وفي رواية عن بعض الصحابة أنهم قالوا : " كنا قد علوناهم في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون لنا إنّ نبيا يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه نقتلكم معه قتل عاد وإرم "(٢) .

وإن عدم تمسكهم هذا بكتابهم يرجع - والله أعلم - إلى أنه كثر فيهم المتهودون الذين ليسوا من أصل يهودي وإلى حبهم المال ومحاولة كسبه من أى طريق كان كما سبق أن قلت ، وقد ثبت أكلهم للربا بما لا شك فيه حيث ثبت بنصوص القرآن الكريم ، قال تعالى : (( وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ))(٣) .

---

(١) د . جواد علي (٦/٥٣٦) .

(٢) سيرة ابن هشام (٢/١٦٦) . نشر .

(٣) المائدة / آية (٦٢) .

وبيّن تعالى أنهم أكلوا الربا ، فقال : (( فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا )) (١) .

ومن الأمراض الاجتماعية التي انتشرت في المجتمع اليهودى في المدينة وقراها الرشوة ، وهي لا تخرج عن الأسباب السابقة من ضعفهم الديني وحبهم للمال وظلم الحكام لهم وضياع العدل بل إن الرشوة صارت سببًا في إغراء الحكام ، ومن ثم ضياع العدل وفقدانه في المجتمع اليهودى ، وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وكيل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه ، فيأكل الرشوة ويسمع الكذب (٢) .

وقد ذكر علماء التفسير نحوا من هذا عند تعرضهم لتفسير الآية (( سماعون للكذب أكالون للسحت )) (٣) ، وقيل : " نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الأشرف ونظرائه ، كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم " (٤) .

---

(١) النساء / آية (١٦٠-١٦١) .

(٢) جامع النقول في أسباب النزول - ابن خليفة عليوى (١/٥٦٩) .

(٣) المائدة / آية (٤٢) .

(٤) المرجع السابق (١/٥٦٩) .

## المطلب الخامس
## حالتهم المعيشية

إن اليهود جبلوا على حب المادة حتى أصبحت هي دينهم الذى يدينون به ، وأصبحت للمال مكانة في نفوسهم عظيمة لا تعلو عليها مكانة شيء آخر ، ولهذا - والله أعلم - سمح سبحانه وتعالى في حربهم أن يقتلع المسلمون نخلهم لأن قلع النخل - وهو يدخل ضمن أموالهم - فيه مشقة عليهم وتعذيب نفسي لهم أيًّا تعذيب ، واليهود في يثرب كانوا مسيطرين على كافة موارد الرزق من تجارة وزراعة وصناعة للأسلحة وغيرها ، وكانت يثرب ملتقى التجارة حيث أنها تقع على طريق قوافل الشام ، وكانت تقام فيها الأسواق التجارية التي يباع فيها التمور والشعير والحطب والصوف والسلاح ، وكان في يثرب أسواق يجتمع إليها الناس من كل حدب وصوب ، وكانت لها شهرة عظيمة مثل سوق بني قينقاع ، وسوق زبالة ، وسوق الجسر ، وسوق الصفاصف، وسوق البطحاء ، وكانت يثرب تصدر الكثير من منتوجاتها إلى خارج الجزيرة العربية كالحبشة والهند ومصر ، وكانت تستورد الكثير من أنواع الأقمشة والحرير .

وبالرغم من هذا النشاط التجارى والزراعي في منطقة يثرب ، إلّا أننا نجد أن اليهود وحدهم هم المسيطرون على هذه الحركة التجارية ، ولا يملك عرب يثرب من ذلك شيئا بل إنهم يعملون كأجراء عند اليهود .

أما الصناعات فقامت فيها صناعات معتمدة على الزراعة كصناعة الخمور وصناعة المكاتل والقفف من سعف النخل ، وكان اليهود هم

المسيطرين على كل هذه الصناعات وخاصة صناعة السلاح والـــــدروع ، وحافظوا عليها أكثر من غيرها من الصناعات لأنّ بها يمكن تغيير وجهة التاريخ وقلب الموازين وما زالوا يحافظون عليها حتى الآن ، والعـــرب قديما وحديثا لم يفكروا في إنشاء شيء من هذه الصناعات فبقيـــــت محتكرة في أيدى اليهود .

وأرجو ألا تكون في المستقبل حتى لا يبقى المسلمون تحت رحمة أعدائهم ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن وجود السلاح تحت أيدى اليهود هو السبب الرئيسي في قيام الحروب بين العـــرب بعضهم البعض قبل الإسلام وبين المسلمين بعضهم البعض منذ بـــدء الفتنة في الصدر الأول للإسلام إلى يومنا هذا ، حيث أنهم يمدون طرفي النزاع بالسلاح والمكائد والخطط العسكرية (١) .

وما آن الأوان لنستيقظ من غفلتنا ونرد كيدهم في نحورهـــم ، فحسبنا الله لا إله إلّا هو عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم .

---

(١) أشار د . جواد على الى شيء من هذا في كتابه الفصـــــل (٥١٦/٦) ، راجع كذلك ما قاله د . شوقي ضيف في العصر الجاهلي ص : ٩٨ والشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه ، د . يحـي الجبورى ، ص : ١١٢ ، مؤسسة الرسالة ، ط ٤ ١٤٠٣ هـ .

## المطلب السادس

## علاقة اليهود بجيرانهم من العرب

عند دراسة علاقة اليهود بجيرانهم ، لا بد لنا أن نعـــرف من هم جيرانهم ، لأن حالة جيرانهم لها أثر كبير في تكوينهم .

لقد عاش مع اليهود في يثرب الكثير من بطون العرب ، ولكن الأوس والخزرج هم الذين اشتهر ذكرهم وذاع على غيرهم مـــن العرب ، وربما يرجع ذلك إلى كثرتهم واتحادهم ضد اليهود أولاً ، ثم ما حصل بينهم من أيام طويلة زادتهم شهرة إلى شهرتهم .

## المطلب السابع

## هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب :

لم أجد اختلافا في كتابات من كتبوا أن الأوس والخزرج جاءوا يثرب بعد انهدام سد مأرب في اليمن ، يقول د . الحوفي : " فلما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب وهم الأزد تفرقوا في البلاد ونزل الأوس والخزرج بيثرب (١) ، وعاشوا دهرا في شظف " ، وأقاموا مع اليهود ، وكانت الأموال والآطام والنخيل في أيدى اليهود ، وكانت الغلبة والمنعة لهم أيضا " وهم أهل مدنية وذكاء وبراعة ، في التجارة ، وتثمير المال ، فسرعان ما اقتنوا الضياع ، وزرعوا واحتكروا تجارة يثرب ، فاغتنوا واشتهروا بصناعتهم كالحدادة وصنع السلاح والصياغة " (٢) .

---

(١) الحياة العربية في الشعر الجاهلي - د .أحمد الحوفي ص ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق - ص : ١٣٨ واليهود بين الدين والتاريخ ، أ . صابر طعيمة ص : ٤٢٤ .

وتعاهد اليهود مع الأوس والخزرج على حلف جوار يأمن بعضهم بعضا ، ومن الطبيعي أن اليهود سيرحبون بمثل هذا الحلف ، لأنه يضمن لهم سيادتهم على يثرب ، ويعطي هذه السيادة الصفة الشرعية هذا بالاضافة إلى استعانتهم بالعرب على كل من سواهم .

وكذلك استفاد اليهود من خبرات الأوس والخزرج في الزراعة ، لا سيما وأنهم مهاجرون من بلاد خصبة هي بلاد اليمن ، حيث سد مأرب ، وهذا كله يؤدى إلى قوة شوكة اليهود وزيادة أموالهم وتجارتهم .

" وكان اليهود يخشون على أنفسهم من جيرانهم العرب ، ولعلهم أدركوا أن قراهم الخصبة ومزارعهم الغنية بالأشجار والثمار وودياتهم التي تفيض بالمياه وآبارهم وعيونهم العديدة سوف توجه إليهم أنظار عرب الصحراء ، ولذلك عمدوا إلى الإكثار من بناء الآطام والحصون ، وازدادت هذه الحصون كثرة بعد نزول الأوس والخزرج " (١) .

وفي الوقت الذى كان اليهود يستفيدون فيه من خبرات الأوس والخزرج ويعتبرونهم أجراء ، كان الأوس والخزرج يفكرون في اتجاه آخر ألا وهو جمع شيء من المال يسمح لهم بمشاركة اليهود في كل شيء (٢) ، وهذا هو السبيل إلى انتزاع السلطة من أيدى اليهود ، ولكن اليهود لم يغفلوا عن حال العرب الذين أخذوا في التزايد العددى والمادى ، فأقام اليهود المزيد من الحصون والآطام .

---

(١) تاريخ العرب في العصر الجاهلي ـ د .السيد عبدالعزيز سالم ص٣٩٥

(٢) المرجع السابق ص : ٣٩٨ .

فعندما أحس اليهود بحال العرب هذه أرادوا أن يلقوا في قلوبهم الرعب فقام بنو قريظة وبنو النضير بتحطيم الحلف الذى بينهم ، وبين العرب ، فخضع العرب خوفا من اليهود ، إلى أن بلغ استبداد اليهود مبلغا لا يمكن الصبر عليه ، عندما قام الغطيون ملك اليهود - وكان ظالما - باحراج مالك بن العجلان " وكان الغطيون رجلا غليظا فاجرا ، فرض على اليهود ألا تتزوج امرأة منهم إلّا دخلت عليه قبل زواجها فافتضها ، وأزال بكارتها ، وبلغ من تطاوله وعُتوّه أنه أراد أن يقوم بمثل تلك المحاولات مع الأوس والخزرج ، ومبالغة في إذلالهم ، أراد أن يجرب ذلك مع أخت مالك بن العجلان السالمي الذى كان الأوس والخزرج قد أمّروه على أنفسهم في محاولة لمواجهة العداء اليهودى .... فشق ذلك على مالك وثارت ثائرته .... فاشتمل على سيفه ودخل على الغطيون متنكراً مع النساء ، فلما خف من عنده عدا عليه فقتله ، ثم لجأ إلى الغساسنة "[1] .

وأكثر الروايات وأصحها تشير إلى أن مالك بن العجلان بعد قتله الغطيون ولّى هاربا باتجاه الشام حيث الغساسنة - مع أن بعض الروايات تقول: إنه ذهب إلى أبناء عمّه في اليمن ، وهذه رواية ضعيفة. واستنجد بأبي جبيلة الغساني - وقيل إنه أرسل من يستنجد به- وهو أحد أمراء الغساسنة ، والصحيح أنه خزرجي ليس غساني ، ولكنه هاجر

---

(١) شعر العرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج - د .محمد العيد الخطراوى ص : ٤٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٢١/٦) وتاريخ العرب في العصر الجاهلي - د . السيد عبدالعزيز سالم ص : ٣٩٦ وما بعدها .

إلى الغساسنة وتقرب إلى ملوكهم حتى أصبح من أمرائهم ، ولم يتراجع أبو جبيلة في نصرة الأوس والخزرج على اليهود ، فأتى بجيش عظيم " واتصل بوفد من الأوس والخزرج فاتفق معهم على أن يتكتموا خبر وصوله حتى لا يتحصن اليهود في آطامهم ، فلا يقدر العرب عليهم ونصحه الأوس والخزرج أن يدعوهم للقائه ويتلطف بهم حتى يأمنوا جانبه ، فيتمكن منهم ، فصنع ملك غسان لليهود طعاما ، وأرسل إلى وجوههم ورؤسائهم فقدموا ، ثم وثب بهم وقتلهم عن آخرهم ، فلما تم له ذلك أصبح للعرب الغلبة على يهود يثرب "(١) .

## المطلب الثامن

## فتنتهم بين الأوس والخزرج :

وهكذا كتبت الذلة على اليهود ، وإن كانوا ذوى سلطان وبأس فتراهم رغم غناهم وكثرة أموالهم وعددهم لا يأمنون جانب العرب الفقراء العُزَّل الذين ما كانوا لينتصروا على اليهود دون المساعدة الخارجية لهم من دولة الغساسنة ، فأقام اليهود الحصون والآطام وصدق الله إذ قال فيهم : (( لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ))(٢) ، أما إذا تغير حال اليهود من القوة إلى الضعف فيزداد خطرهم وذلك لأنهم حينئذ يعملون بخفاء وبقوة فتاكة أكثر من السلاح ، وهذه هي الطريق التي سلكوها للوضع بين الأوس والخزرج .

---

(١) تاريخ العرب ـ د . السيدعبدالعزيز سالم ص : ٣٩٩-٤٠٠ .

(٢) سورة الحشر / آية : ١٤ .

" أقام الأوس والخزرج بعد غلبتهم على يهود متفقي الكلمة متحدى الصفوف حينا من الزمن ، ثم ساءت العلاقات بين الأخوين ووقع الخلاف ، وانتهى الأمر بقيام حروب بينهما كثيرة امتدت حتى قبيل الهجرة النبوية ، ويبدو أنه كان لليهود يد في نشوب الخلاف بين العرب بعضهم بعضا " (١) .

ويرجع د . سالم الحرب إلى أسباب اقتصادية وسياسية فيقول : " وأصل النزاع الذى نشب بين حيي العرب في يثرب يرجع إلى عوامل اقتصادية وسياسية ... " (٢) ، ولكنه نسي السبب الحقيقي للحرب الذى يختفي وراء هذه الأسباب كلها ألا وهو المكر اليهودى المتأصل في نفوس اليهود الطليئة بالحقد على من سواهم من البشر ، واكتفى فقط بالشك في أن لليهود يدا في هذه الحروب .

لقد أوجزت في الكلمات السابقة علاقة اليهود بجيرانهم من العرب ولعله من الملاحظ أن هذه العلاقات كلها تغلب عليها الصبغة السياسية ولكن هناك جانب مهم يجب ألا ننساه وهو : أن العرب كانوا وثنيين واليهود أهل دين سماوى فما هو مدى تأثر العرب بدين اليهود ؟ أو ما هو مدى تأثير اليهود في جيرانهم الوثنيين ؟ ، أما من جهة العرب، لماذا لم يتأثروا بدين اليهود ؟ فهذا يرجع والله أعلم إلى أن العرب كانوا يحتقرون الزراعة والصناعة وأهلها في حين أن اليهود كانوا أهل زراعة وصناعة ، وهذا سبب في احتقار العرب لهم " فلما

---

(١) تاريخ العرب في العصر الجاهلي ص : ٤٠١-٤٠٢ .

(٢) المرجع السابق - نفس الصفحات .

رأت العوام اليهود ... كذلك ، توهمت أن دين اليهود في الأديان كصناعتهم في الصناعات "[1] .

وهذا سبب تعلق بالعرب ووجد في نفوسهم فكان مانعاً لهم من دخول دين اليهود ، وهناك أسباب كانت في اليهود أنفسهم ، من هذه الأسباب أن اليهود لم يَجِدُّوا في نشر تعاليم دينهم بين العرب ولم يميلوا إلى أن تعتنق أمم أخرى دينهم ، وهذا مأخوذ عن مبدأ عند اليهود هو أن الدين اليهودى تشريف لبني إسرائيل ، وأن الأمم الأخرى لا تستحق هذا الشرف ، وهم يمنعون التبشير بدينهم بين الأمم الأخرى ، " لا يدخل عموني ولا مؤابي جماعة الرب إلى الأبد "[2] " فالآن اذهب إلى مصر وأخرج شعبي بني اسرائيل "[3] .

ولقد كان كذلك من موانع دخول العرب في دين اليهود أن اليهود أنفسهم انصرفوا إلى التجارة وإلى التعامل الربوى الفاحش ، وكان كل همهم الحصول على المال بأى طريقة مشروعة كانت أو غير مشروعة ، وكانوا كذلك يوقعون بين القبائل ، وهذا مدعاة لكرههم والحقد عليهم .

---

(١) الحياة العربية - د. أحمد الحوفي - ص : ١٤٠ .

(٢) التوراة سفر التثنية (٢٣/٣) .

(٣) التوراة - سفر الخروج (٣/٩ - ١٠) .

المبحث الثانى

## اليهود فى اليمن

إن اليهودية ظهرت وترعرعت فى أرض اليمن قبل الإسلام ونريد أن نعرف متى كانت هجرة أولئك اليهود إلى اليمن ؟

فـ"هى الموضع الثانى الذى عششت فيه اليهودية وباضت ففى هـذه الأرض من جزيرة العرب ظهر اليهود فيها ظهورا واضحا وصارت اليهودية ديانة البلاد الرسمية"(١).

وهناك رواية اشتهرت فى كتب السير والأخبار عن مبدأ دخول اليهودية اليمن ولكن بعض الباحثين يتشكك فيها ولا يجزم بأنها كانت أول سبب لدخول اليهودية أرض اليمن " أما كيفية مجيئها وانتشارها هناك ومتى كان ذلك فليس لدينا علم واضح دقيق عن ذلك"(٢) .

أما الرواية المشهورة فهى أن تَبَّان أسعد أبو كرب قدم المدينة وساق حبرين من اليهود إلى اليمن وعمَّر البيت الحرام وكساه ... وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوه بلاد المشرق على المدينة وكان قد مر بها فى بدأته ... وخلَّف بين أظهرهم ابنا له فَقُتِلَ غَيلة فقدمها وهو مجمع لإخرابها واستئصال أهلها ، فقاتلهم ، فكانوا يقاتلونه نهاراً ويقرونه ليلاً فأعجبه ذلك منهم وقال : إن قومنا لكرام . وبينما هو على ذلك من قتالهم إذ جاءه حبران من اليهود حين سمعا بأنه يريد إهلاك المدينة

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد على ٦/٥٣٧ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

فقالا له : أيها الملك لاتفعل ، فإنك إن أبيت إلا ماتريد لم نأمن عليك جُل العقوبة قال لهما : وَلِمَ ذلك ؟ قالا : هى مهاجَر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان تكون داره وقراره ، فانتهى عما كان يريد لما رأى من علمهما ثم توجه إلى مكة وكان أول من كسا الكعبة[1] وقال عندما سمع بمبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ
رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ بَارِى النَّسَمْ
فَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَى عُمْرِهِ
لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَابْنَ عَمْ
وَجَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ أَعْدَاءَهُ
وَفَرَّجْتُ عَنْ صَدْرِهِ كُلَّ هَمْ[2]

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

" لَاتَسُبُّوا تُبَعًا فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ "

وروى ابن اسحاق بسنده إلى محمد بن طلحة بن عبيد الله أنه كان يحدث أن تبعا لما دنا مِنْ اليمن ليدخلها حالت حِمْيَر بينه وبين ذلك وقالوا لاتدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه وقال : إنه

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ١٦٥ .

(٢) التيجان من ملوك حمير لوهب بن منبه ص ٣٠٨ ط ١ ١٣٤٧ نشر مكتب الدراسات والأبحاث اليمنية / صنعاء . ووهب بن منبه هو أبو عبد الله صاحب الأخبار والقصص ... وكان يقول قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتاباً وله علم بالتاريخ توفى سنه ١١٦هـ بصنعاء ـ إعجام الأعلام تأليف محمود مصطفى ص ١٩٦ دار الكتب العلمية ط ١ ١٤٠٣هـ.

خير من دينكم قالوا : تحاكمنا إلى النار ؟ قال : نعم[1] ، فخرج قومه بأوثانهم وخرج الحبران بمصاحفهما ... حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه ... فخرجت حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حِمْيَر وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما فاصفقت عند ذلك حِمْيَر على دينهما فمن هنالك كان أصل اليهودية فى اليمن[2] .

ولكن ماهو مدى صحة هذه القصة وماهى أقوال وتعليقات المؤرخين عليها؟ إن كثيراً من المؤرخين القدماء لم يتعرضوا لهذه القصة بالنقد والتحليل بل إنهم اكتفوا بإيرادها فقط فى كتبهم، ولكن بعضهم - وخاصة المُحْدَثِيْنَ منهم ناقشوها وأبدوا فيها الآراء فهذا د. جواد على يتشكك فى صحتها فيقول " ويزعم أهل الأخبار أن تبعا ... اهتدى إلى هذه الديانة عند اجتيازه بيثرب وهو عائد إلى اليمن من حرب قام بها فى الشمال ... وبتأثير بعض الأحبار عليه ، ومنذ ذلك الحين صارت هذه الديانة ديانة البلاد الرسمية "[3] .

فهو اعتبر هذه الرواية من باب الزعم ومعروف أن الزعم فى اللغة

---

(١) اسطورة النار هذه أسطورة من أساطير اليمن القديمة وهم يزعمون أن نارا كانت تخرج من كهف فتأكل الظالم ولاتؤذى المظلوم .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ١٦٥ - ١٦٦
وكتاب التيجان من ملوك حمير لوهب بن منبه ص ٣٠٧ - ٣٠٨ وقد وردت هذه القصة فى كثير من كتب التاريخ .

(٣) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام د . جواد على ٦/ ٥٣٧ .

هو القول بلا دليل . وهو لاينفى صحة هذه الرواية البته ولكنه يضيف أسبابًا أخرى لانتشار اليهود فى اليمن وليست تلك القصة هى السبب الوحيد لذلك فيتابع قائلا : " وقد يكون لهذه الروايات شىء من الصحة غير أنى أرى أن دخول اليهودية إلى اليمن مرده أيضا إلى اتصال اليمن من عهد قديم بطرق القوافل التجارية البحرية والبرية ببلاد الشام وفى قصة سليمان وملكة سبأ إشارة إلى تلك الصلات وإلى هجرة جماعات من اليهود إلى هذا القطر عن طريق الحجاز بعوامل متعدده منها التجارة والهجرة إلى الخارج وهروبهم من اضطهاد الرومان لهم وعوامل أخرى جعلتهم يتجهون من الحجاز إلى اليمن "[1] والرأى هذا قاله الكثيرون فيقول د . العقيلى " إن الرواية السابقة ... قد يكون لها شىء من الصحة إلا أن أمثال هذه الروايات قد امتزجت فيها الحقيقة بالخيال وخاصة فى الفترات المتباعدة عن الإسلام ... فقصة التحكيم إلى النار هى من هذه الأساطير والخرافات التى كان من السهل تناقلها وتصديقها والتى يستفاد منها أن اليهودية لم تكن معروفة فى اليمن قبل حوادث هذه الرواية فى القرن الخامس الميلادى ، على الرغم من أن هناك اشارات الى أن دخول اليهودية إلى اليمن يرجع أيضا إلى اتصال اليمن منذ عهد قديم بطرق القوافل التجارية ببلاد الشام وتشير قصة سليمان وملكة سبأ إلى هذه الصلة وإلى هجرة جماعة من اليهود إلى اليمن عن طريق الحجاز "[2] .

---

(١) المرجع السابق ٦/٥٣٨ .

(٢) اليهود فى شبه الجزيرة العربية ص : ٧٤ محمد أرشيد العقيلى عمان ط : (١) ١٤٠١ هـ .

وقد أورد د . العقيلي[1] نصوصا وآراء لمستشرقين لاأرى الاعتماد عليها بأى حال، لأنهم لم يبنوا آرائهم إلا على العواطف وعلى محاولة إيجاد تاريخ لبنى اسرائيل - يهود ونصارى - فى أرض الجزيرة من أقدم العصور . ويوهموننا بأنهم بنوا آرائهم هذه على آثار وحفريات وجدوها فى أرض اليمن وإنى أرى أن هذه الحفريات لاتدل على دين بعينه ولكنها تدل على وجود التوحيد فى تلك البلاد . ولكنه ينكر ظهور دولة يهودية فى اليمن فيقول " إنه على ضوء نتائج دراستى لليهودية فى اليمن لم أعثر على أدلة تكشف عن ظهور دولة لليهود فى اليمن فكل الآراء التى زعمت أن اليهود كونوا دولة فى القرن الأول قبل الميلاد أو الثانى بعد الميلاد أو التى جعلتها فى القرن الخامس للميلاد قد بنيت على الحدس والظن واستندت إلى ماروى عن تعذيب ذى نواس لنصارى نجران " وأورد رأيا لمؤرخ نصرانى أنكر حتى وجود اليهودية فى اليمن إلا فى عصر سليمان عليه الصلاة والسلام[2] .

ولكن د . جواد على تحدث عن سفر شخص يهودى اسمه زِبِي عقيبه سافر إلى اليمن حوالى سنة ١٣٠ ميلادية فقال : لايعقل سفره هذا إلى تلك البقعة النائية وتجشمه مشقته لو لم تكن هناك جالية يهودية فيها[3] .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٥ ومابعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٨٥ .

(٣) المفصل فى تاريخ العرب د . جواد على ٦ / ٥٣٨ .

ويرجع سبب وجود هذه الجالية إلى الجيش الذى ذهب مع أوليوس غالوس فقال : " ولكنني لا أستبعد مع ذلك وجود اليهود فى اليمن فى هذا العهد إذ كان أوليوس غالوس قد جاء بجمع منهم معه فى حملته إلى اليمن فيجوز أن يكون بعضهم قد فضَّل البقاء فى اليمن والسكن فيها لطيبها ولخصب أرضها وتعبهم من السفر ."[1] إذاً لم يبق مجال للشك فى وجود اليهود فى اليمن بل وفى قيام دولة تدين بدين اليهود وتحكم به وأستدل على ذلك بقصة أصحاب الأخدود فما كان ليستطيع ذو نواس قَتْلَ النصارى لو لم يؤيده شعبه وجيشه فى ذلك الفعل .

وبقى سؤال أخير هو : هل يهود اليمن عرب تهودوا أم يهود من بنى اسرائيل هاجروا إلى تلك المنطقة ؟

لقد مر فيما سبق عدة آراء حول كيفية وأسباب دخول اليهودية إلى اليمن أما إذا نظرنا إلى قصة تُبَّع وحملة الحبرين معه فنتبيَّن أن اليهود هم من حِمْيَر التى تهودت أى أنهم عرب أرومةً .

وإذا نظرنا إلى أسباب الهجرات والتجارة فنتبيَّن أن منهم من كان من بنى إسرائيل الذين هاجروا إلى اليمن . وعلى كل حال فاليهود كانوا عبارة عن خليط من العرب وبنى إسرائيل .

ولكن يظهر لى بعض التناقض فى آراء رواها د . أحمد الجوفى

---

(١) المرجع السابق ٦/ ٥٣٩ .

حيث قال : جد بعض اليهود فى نشر دينهم فى جنوبى الجزيـــــرة فتهود كثير من اليمن منهم ذو فواس ملك اليمن "[1] وقد أورد فى نفـــس الكتاب نصاً[2] من التوراه يفيد بأن اليهودية اقتصرت على بنى إسرائيـــل وأنهم حرصوا على ألا يدخلها غير بنى اسرائيل لأنهم يعتبرونها شـــرف لهم . وهذا التعارض أرى أن حله على النحو الآتى : أن الأحبـــار بشروا باليهودية فى الجزيرة العربية وخاصة القسم الجنوبى لأحد أمريـن :

١ ــ إما أنهم كانوا على دين صحيح لم يكن قد طرأ عليه التحريـــف فحاولوا نشر عقيدة التوحيد بين الناس جميعاً ،

٢ ــ أو أنهم بشروا بها فى منطقة اليمن خاصة لما لتلك المنطقة مـــن أهمية تجارية وزراعية فأرادوا ــ باسم الدين ــ أن يستولوا علـــى موارد الرزق فيها . فالله أعلم أىّ ذلك كان .

هذا وقد وجدت اليهودية فى نجران شرق اليمن وهى الـــتى وقعت فيها حادثة الأخدود المشهورة ، " وقد كانت نجران مـــن المستوطنات المهمه التى نزل بها اليهود فى اليمن وهى مكان خصـــب وقد عاش اليهود فيها مع غيرهم من العرب من نصارى وعبدة أصنـام "[3] .

ووجد اليهود فى مواضع أخرى من جزيرة العرب مثل نجـــد والبحرين[4] ولكنهم لم يكن لهم تأثير يذكر على مجريات الأحداث .

---

(١) الحياة العربية فى الشعر الجاهلى د . أحمد الحوفى صـــ ١٣٧ .

(٢) ذكرته فى صـ٨ من هذا البحث عند الحديث عن تأثير اليهود فى العرب

(٣) المفصل د . جواد على ٦/٥٤١ .

(٤) المرجع السابق ٦/٥٤١ ــ ٥٤٢ .

المبحث الثالث

## أشهر شعراء اليهود في العصر الجاهلي

لاستكمال دراسة تاريخ اليهود في الجزيرة العربية لا بد من الإشارة إلى شيء من ثقافتهم وأدبهم ، لأن الشعر غالبا ما تنعكس فيه صورة المجتمع الذى يعيش فيه الشاعر ، وقد اشتهر من بين اليهود شعراء لهم مكانتهم في الشعر الجاهلي ، لكن أكثرهم لم يُجمع له ديوان خاص به يحتوى على كل شعره ، وإنما جاءت أشعارهم متفرقةً في كتب التاريخ والأدب .

ومن أشهر شعرائهم : السموأل بن عاديا(٢) .

هو السموأل بن غريض بن عاديا(٢) صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء ، وبه يضرب المثل في الوفاء لأنه أسلم ابنه ولم يخن أمانته في أدرع أودعها عنده امرؤ القيس لما سار إلى الشام يريد قيصر ، فطلبه المنذر بن ماء السماء فلجأ إلى السموأل ومعه أدرع كانت لأبيه فوجه المنذر بالحارث بن ظالم في خيل وأمره أن يأخذ مال امرىء القيس من السموأل ، فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يفع وخرج إلى قنص ، فلما رجع أخذه الحارث ، ثم قال للسموأل أتعرف هذا ؟ قال : نعم . هذا ابني ، قال : أفتسلم ما قبلك أم أقتله ؟ قال : شأنك به فلست أخفر ذمتي ولا أسلم مال جاري ، فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه قطعتين ، وانصرف عنه .(١)

---

(١) ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي - شرح التبريزى ( ١ / ٢٦ - ٢٧ ) الحاشية بتصرف .

(٢) وقد ورد أن اسم أبيه عاديا والصحيح ما أثبته لما جاء في شعره ، حيث قال : وأوفى عاديا جدى بأن لا ... تضيع ياسموأل مابنيت .

وقال بهذه المناسبة مفتخرا :

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إِنِّي
إِذَا مَا ذُمَّ أَقْوامٌ وَفَيْتُ
وَأَوْصَى عَادِيًا يوماً بِأَلَّا
تُهَدِّمْ يَا سَمَوْأَلُ مَا بَنَيْتُ
بَنَى لِي عَادِيَا حِصْناً حَصِيناً
وَمَاءً كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ (١)

ويأخذ البعض موقف السموأل هذا دليلاً على شدة حبه وحرصه (٢) على المال وذلك أنه عندما تأكد من عدم رجوع امرىء القيس عرف أن هذه الأدرع ستئول له - ولا شك أنها أدرع ذات قيمة عالية - فآثر قتل ولده على أن يسلمها للحارث (٣) .

وله قصيدة مشهورة منها هذه الأبيات :

إذا المرءُ لَمْ يُدَنِّسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضَهُ
فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

إلى أن قال :

---

(١) ديوانه ص : ١٧ ، جمع عيسى سابا - مكتبة صادر - بيروت . والحياة العربية - د . أحمد الحوفي - ص : ١٣٨ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - د . جواد علي (٥٧١/٦) .

(٢) يروى عن محاضرة ألقاها إبراهيم طوقان ، ويراجع في ذلك كتاب أخي ابراهيم - لفدوى طوقان .

(٣) ويرد هذا القول على قائله بما جاء من أن السموأل رد تلك الأدرع الى ورثة امرىء القيس ، وهذا الموقف لا يستغرب من يهودي عاش بين العرب وتطبع ببعض طباعهم .

وإنَّا لَقَومٌ ما نرى القَتلَ سُبَّـــةً
إذا ما رأتـهُ عامـرٌ وسَلـُـــولُ
يُقَرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لَنـــا
وتكرهُـــه آجالُهُـــمْ فتطـُـــولُ
وما ماتَ مِنَّا سيِّـدٌ حَتْفَ أَنْفِـــه
ولا طَـلَّ مِنَّـا حيثُ كانَ قَتِيـــلُ (١)

في هذه القصيدة يفتخر السموأل كاذبا بقومه اليهود ويصفهـــم بأوصاف ليست فيهم ، وقد نفاها القرآن الكريم عنهم ، فقومه لا يحبـون القتال ولا الموت ، وهم أحرص الناس على الحياة ، قال تعالـــى : (( وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا )) (٢) .

ويدلنا على كذبه كذلك أنه يفتخر بحصنه الشهير ، أى أنه عنـد أى أمر خطير يدخل حصنه ويغلق الباب على نفسه ، ويعد ذلك مـن الشجاعة وهو ليس من الشجاعة في شيء لأن الشجاعة في ملاقـــاة الرجال ومقارعة السيوف .

وصدق الله العظيم إذ يقول فيهم : (( لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًـــا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ )) (٣) .

وبعض العلماء يزيد عليها وينقص منها أبياتًا أخرى ، وهي علـى ذلك ما يعزوه بعض العلماء إلى شعراء آخرين ، فعزاها بعضهم إلـى عبدالملك بن عبدالرحيم أو عبدالله بن عبدالرحمن ، وقيل ابن عبدالرحيم

---

(١) ديوان الحماسة - لأبي تمام ( ١/٢٧ ) .
(٢) سورة البقرة / آية ( ٩٦ ) .
(٣) سورة الحشر / آية ( ١٤ ) .

الأزدى وهو شاعر إسلامي .

وتنسب كذلك إلى دكين الراجز وهو شاعر إسلامي (١) .

وإنّ جميع الصفات التي ذكرت في القصيدة هي من صفات العرب المسلمين ولا ينطبق شيء منها على اليهود .

ومن شعرائهم كذلك (٢) : الربيع بن أبي الحقيق ، وهو حاضر البديهة ، أجاز أبياتا للنابغة الذبياني حين أقبل النابغة يريد سوق بني قينقاع ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أطمه ، فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة ، وكانت سوقا عظيمة ، فحاصت بالنابغة ناقته فأنشأ يقول :

كادت تُهالُ من الأصواتِ راحلتي

ثم قال للربيع : أجز يا ربيع ، فقال :

والنَّغْرُ منها إذا ما أوجَسَتْ خَلِقُ

فقال النابغة : ما رأيت كاليوم قط ، ثم قال :

لولا أنهنهها بالسوط لاجتذبت

أجز يا ربيع ، فقال :

مني الزِّمامَ وإنّي راكبٌ لَبِقُ

فقال النابغة :

قد مَلَّتِ الحبس في الآطام واْستَعْفَتْ

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام - د . جواد علي (٥٧٦/٦) .

(٢) الأغاني (٩٣/١٩) تحقيق مجموعة من الأساتذة - دار الثقافة - بيروت ط ١٤٠١ هـ .

أجز يا ربيـــع ، فقال :

إلى مناهلها لو أنهـا طَلِـــقُ

فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر الناس .(١)

ومن شعرائهم كذلك : أوس بن دنيٍّ القرظي(٢) ، وأشعاره قليلـة متفرقة في كتب الشعر ، ومنها هذه الأبيات يقولها في الغزل :

أنَّىٰ تَذكَّرَ زَيْنَبَ القلـــــبُ
وطِلَابُ وصلِ عَزِيـــزَةٍ صَعْـــــبُ
ما رَوْضةٌ جادَ الربيعُ لهـــــا
مُوشيَـــةٌ ما حَوْلَها جَـــــدْبُ
بِألَذَ منهـــا إذْ تَقُولُ لَنَـــا
سَـــيْراً قَلِيـــلاً يَلْحَـــقُ الرَّكْـــبُ

ومن قوله كذلك :

وما بعضُ الإقامةِ في ديارٍ يذَّل بها الفتى إلّاعنـــــاءُ
وبعض خلائق الأقـــوام داءٌ كداءِ البرص ليس له شِفـــاءُ
يريد المرءُ أنْ يُعطَىٰ حياةً ويأبى الله إلّا ما يشـــــاءُ
وبعضُ الداءِ مُلْتَمَسٌ شفـــاءٌ وداءُ النّـــوكِ ليسَ له شِفـاءُ(٣)

---

(١) الأغاني (٢١/٦٢) ، والحياة العربية - لأحمد الحوفي ص: ١٣٩.

(٢) هكذا ذكره د. أحمد الحوفي بالياء المشددة ص: ١٣٨ ، وذكره د. جواد علي باسم أوس بن دنن ، وهو الذى ذكره أكثر المؤرخين

(٣) النوك: هو الحمق ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن لابن سعيد الأندلسي (٨/٨٢٣) ، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن ط ١ مكتبة الأقصى - عمان الأردن .

## ومن شعرائهـــــم

## كعب بـــن الأشـــرف

وهو رجل من بنى نبهان من طىء وأمه يهودية من بنى النضـــير فدان باليهودية وكان فيهم رئيسا[1] وقد آذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكثيرا ماكان يهجوه وأصحابه - صلى الله عليه وسلم - وفى يوم بدر بعد أن علم كعب بن الأشرف بمقتل أشراف قريش من الكفار اغتاظ لذلك وذهب خفية إلى مكة وأخذ يحرض أهلها ضد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال قصيدة طويلة منها :

طَحَنَتْ رَحَىٰ بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِـــهِ
وَلِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَتَدْمَـــعُ

قَتَلَتْ سراةَ النّاسِ حول حِياضِهـــم
ولا تُبْعِدُوا إنَّ المُلُوكَ تُصَـــرَّعُ

كم قد أُصيبَ به من أَبيضَ ماجـــدٍ
ذي بهجةٍ يأوي إليه الضُيَّـــعُ

طَلِقِ اليدِ مِن إذا الكواكب أخلفت
حمّالِ أثقال يســـود ويَرْبَـــعُ[2]

---

(١) ديوان حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ص ١٥٥ تحقيق د . سيد حنفى حسنين الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٣٩٤هـ ، وسيرة ابن هشام ٣/ ٥٥ . أما أبو كعب بن الأشرف فقد ذكر فى رواية أنه من بنى النضير وفى أخرى أنه من طىء وأمه لا خلاف فى أنها من بنى النضير . راجع المفصل د . جواد على : ٦/ ٥٢٣ .

(٢) أى له ربع الغنيمة لان الرئيس كان يأخذ الربع فى عرفهم .

ويقول أقوام أسر بسخطهـــم

إنَّ ابن الأشرف ظل كعبا يجزع (١)

ويتضح من هذه الأبيان من قصيدته تحريضه ضد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أجابه كثير من شعراء المسلمين وعلى رأسهم حســان بن ثابت الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ فقال :

لا زال كعبٌ يَسْتَهِلُ دُمُوعَـــهُ

للهالكين مُجدَّعاً لا يَسْمَـــعُ

فلقد رأيتُ بِبَطْنِ بَدْرٍ منهـــم

قتلىٰ تَسُحُ لها العيونُ وتَدْمَعُ

فَبَكَّ فقد أبكيت عبداً راضعـــا

شبه الكُلَيْبِ إلىٰ الكُلَيْبَةِ يَنْزِعُ

---

(١) ومنها كذلك قوله :

صَدَقُوا فليت الأرض ساعة قُتِّلـــوا

ظلت تسوخُ بأهلها وتُصَدَّعُ

صار الذى أثر الحديث بطعنـة

أو عاش أعمى مُرْعَشاً لا يسمـــعُ

نُبِئتُ أَنَّ بنى المغيرةِ كلهَـــم

خشعوا لقتلِ أبى الحكيم وجُدِّعُوا

نُبِئتُ أَنَّ الحارثَ بنَ هِشَامِهِـــم

فى النَّاسِ يبنى الصالحات ويَجْمَعُ

ليزورَ يثربَ بالجموعِ وإنَّمـــــا

يحمي على الحسبِ الكريمِ الأَوْرَعُ

ولقد شفى الرحمنُ مِنَّا سيِّـــدًا

وأهان قوما قاتلوه وصُرِّعُوا

ونجا وأفلت منهم متسرعـــــا

قل قليلٌ هاربٌ يَتَـــزَّعُ[1]

وأورد ابن هشام رد حسان - رضى الله عنه - على كعب بن الأشرف ببعض الاختلاف فى ألفاظ القصيدة وقال : وأكثر أهل العلم بالشعـــــر ينكرها لحسان ، وقال محققوا سيرة ابن هشام : قد بحثنا فى شعـــــر حسان فلم نجد هذه القصيدة .

## مقتل كعب بن الأشرف :[2]

يروى الإخباريون قصة طويلة فى مقتله وسببه وذلك أنه عندما رجـع إلى المدينة - بعد سفره إلى مكة سابق الذكر وتحريضه الكفار - أخـــذ يؤذي المسلمين ويشبب بنسائهم فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : مَنْ لي بابن الأشرف ؟ فقال محمد بن سلمة : أنا لك يارسول اللـه ، أنا أقتله قال : فافعل إن قدرت ... فاجتمع فى قتله محمد بن سلمة وأبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر ودبروا

---

(١) ديوان حسان ص ١٥٥ ، ١٥٦ وقد وردت هذه القصيدة فى نفـــس الديوان ص ٣٩٠ باختلاف يسير فى بعض ألفاظها .

(٢) سيرة ابن هشام : ٣/٥٨ - ٦١ بتصرف .

مكيدة فأرسلوا أخاه فى الرضاعة سلكان بن سلامة فتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر، ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني ، قال : افعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس ... فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير الى ما أقول ، فقال له سلكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك فقال ابن الأشرف : أترهنونى نساءكم - فى رواية أبناءكم - قال كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم؟، واتفق معه أن يرهنوا عنده السلاح فوافق كعب بن الأشرف على ذلك ثم أتوه فى ليلة مقمرة وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد سار معهم إلى بقيع الغرقد وقال انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم فجاءوه ليلاً وذهب يتمشى معهم ساعة وهم يتحدثون حتى اذا أَمِنَهم انقضوا عليه فذبحوه .

قال سكان - رضى الله عنه - فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

قال حسان بن ثابت الأنصارى - رضى الله عنه - :

لله دَرُّ عصابةٍ لاقيْتَهم
يابن الحقيق وأنت يابنَ الأَشرفِ
يسرون بالبيض الخِفَافِ إليكم
مرحاً كأسدٍ فى عرين مُغْرَفِ
حتَّى أتوكم فى محلِ بِلادكم
فسقوكم حَتْفاً ببيض دفِّفِ

مُستَنْصِرِيْنَ لنصر دين نبيهـم
مُسْتَصْفِرِيْنَ لِكُلِّ أمر مُجْحِـــفِ

وقال كعبُ بن مالك :

فَغُودِرَ منهم كعب صريعـــًا
فَذَلَّتْ بعد مصرَعِهِ النضيرُ
على الكفَّين ثم وقد علتـــه
بأيدينا مُشَّرفةٌ ذُكـــورُ
بأمر محمدٍ إذ دسَّ ليـــلاً
إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ
فما كَرَهَ فأنْزَلَـــهُ بمكـــرٍ
ومحمود أخو ثقةٍ جســورُ

ومن شعرائهم :

## دِثَار بـــن رفاعـــة

هو أبو قيس دثار بن رفاعة اليهودى الخيرى وقيل إنه مـــن الأوس وإنه أدرك الاسلام فأسلم .(٢)

ومن شعره :

من يَصْلَ نارى بلا ذنب ولا تِبَةٍ
يُصْلَ بنارٍ كريمٍ غيرِ غَـــدَّارِ

---

(١) معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٩٧ تحقيق عبد الستار أحمد فراج . داراحياء الكتب العربية ١٩٦٠م .

أنا النَّذيرُ لَكُمْ مِنِّي مُجاهَـــرَةً
كيلا أُلام على نَهْيِي وإنـــذاري
فإن عصيتم مقالي اليومَ فاعترِفُـــوا
أَنْ سوف تَلْقَوْنَ خِزْياً ظاهرَ العارِ
وصاحبُ الوترِ ليس الدهرُ مُدْرِكُـهُ
عندي وإنِّي لَدَرَّاكٌ بِأَوْتَـــــارِ (١)

ومن الشعراء الذين روى الإخباريون شيئاً من شعرهم أوس بن دنيّ القرظي وكعب بن سعد القرظي وسارة القرظية وسعيه بن غريض بن عادياء وأبو الدّيّال وأبو الزناد وشريح بن عمران وأبو رافع اليهودي.(٢)

---

(١) نشوة الطرب لابن سعيد الأندلسي : ٢/ ٨٢٢ .

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد علي : ٦/ ٥٧٠ .

# الباب الثانـــى

---

## الفصـــل الثانـــــى

## النصرانية فى الجزيرة العربية

## المبحث الأول

## تاريخ دخول النصرانية

## جزيرة العرب

لقد وجدت النصرانية فى جزيرة العرب فى موضعين وكان لها دورها فى مجريات الأمور فى هذين الموضعين أما الموضع الأول فهو شمال الجزيرة العربية على حدودها مع الدولة الرومانية حيث مملكة الغساسنة العربية والتى قد اشتهر عنها دخول أهلها فى النصرانية .

وإذا رجعنا إلى التقسيم الجغرافى للجزيرة العربية وتحديدها نجد أن الغساسنة لا يدخلون فى حدودها - وبالتالى لا يدخلون ضمن هذا البحث - ولكنهم كان لهم دور كبير فى تنصر أعراب بادية الشمال وفى إمداد الأديرة فى الجزيرة بالمساعدات فهم يُعتبرون واسطة بين الروم والعرب فى الجزيرة .

وكذلك وجدت النصرانية فى موضع آخر من الجزيرة العربية وهو ( اليمن ) وكان لها دور كبير فى هذا الجزء وسأتناول فيما بعد - إن شاء الله - تاريخ دخولها فى كلٍ من هذين الجزئين مع بعض التفصيلات الأخرى .

أما دخول النصرانية فى الجزيرة العربية فتاريخه يشوبه الغموض ولا يمكن القطع بتاريخ محدد لذلك .

« وتحاول مؤلفات رجال الكنائس رد ذلك التاريخ الى الأيام

الأولى من التاريخ النصرانى غير أننا لانستطيع اقرارهم على ذلك لأن حججهم فى ذلك غير كافية للاقناع ولذلك فليس من الممكن تثبيت تاريخ لانتشارها فى هذه الأماكن"[1].

ولكنى أرى أن ذلك - على وجه الاحتمال - كان فى العصر الذي آمنت فيه الدولة الرومانية بالنصرانية واتخذتها ديناً رسميًا للبلاد وبعثت البعوث والمبشرين لنشره لأهداف للدولة سأذكرها فيما بعد -إن شاء الله تعالى - .

وقد أرجع بعض المؤرخين دخولها إلى الجزيرة فى عهود مبكرة جدًا " ويذهب رايت توماس " إلى القول بأن المسيحية قد دخلت البلاد العربية لأول مرة على يدي بولس الذى أقام بهذه البلاد ثم عاد إلى دمشق"[2]، ربما أخذ " رايت توس " رأيه هذا من رسالة وجهها بولس للخلقدونيين ،" ويظهر هذا من رسالة القديس بولس للخلقدونيين[3] حيث ذكر بأنه قد ذهب إلى البلاد العربية وعاد بعدها إلى دمشق .

ولكن د . التميمى يشك فى هذه الروايات وينى شكه هذا على أسس سليمة ، ومن هذه الأسس قول " بل " الذى قام بتفسيرٍ هام فيما يتعلق بطول الزيارة حيث قال :"إن السنوات الثلاث التى يذكرها بولس

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد على : ٦/٥٨٦ .

(٢) التبشير فى منطقة الخليج العربى د . عبد المالك خلف التميمى ص : ١٣ ، شركة كاظمة الكويت . ط. ١ سنة ١٩٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص : ١٣ .

لا شير إلى مدة إقامته فى البلاد العربية ولكنها تشير إلى المدة التى انقضت بين اعتناقه للمسيحية وذهابه إلى القدس بما فى ذلك فترة من النشاط فى دمشق"(١).

وخرج د. التميمى من ذلك بقوله :"وهكذا فإننا نستطيع أن نقول إن بولس لم يدخل المسيحية إلى البلاد العربية أو أنه أتى على ذكر الجزيرة العربية"(٢).

وأنا أظن ذلك لأن ثلاث سنوات قضاها القديس بولس فى البلاد العربية لا تكفى لأن ينشر دينا فيها هو جاهل بتعاليمه ففى السنوات الثلاث لا يستطيع هو أن يتمكن من فهم تعاليم الدين فكيف يتمكن من نشرها بين العرب ؟.

ولكن إذا صحت هذه الروايات - ولا أعتقد صحتها - فهل يمكننا أن نحدد البلاد العربية التى جاءها بولس وأشار اليها فى رسالته ؟ هل هى جزيرة العرب أم غيرها من البلاد العربية الأخرى ؟ يجيب عن ذلك د. التميمى قائلاً : " إن المنطقة التى أشار اليها بولس باسم البلاد العربية يصعب تحديدها جغرافيا "(٣)

---

(١) المرجع السابق ص : ١٤ نقلا عن :
Bill Richard, The Origion of Islam in it's Christian Environment - London 1968 p.15-16

(٢) المرجع السابق ص : ١٥

(٣) المرجع السابق ص : ١٤

ويضيف قائلا " ومن سوء الحظ أنّ المصادر المسيحية قد أخفقت في تعريف أو تحديد البلاد العربية التي قام القديس بولس بزيارتها"(١).

ولكنه يحاول أن يحدد أو يتوقع أن تكون تلك المنطقة هي العربية الشمالية أي بلاد الشام فيقول : " ومن المحتمل جدًا أن تكون البلاد العربية التي زارها القديس بولس هي المناطق الشمالية لشبه الجزيرة العربية الواقعة في سوريا والتي كان العرب يقطنونها "(٢)

بعد أن عرفنا ذلك نريد أن نعرف هل حاول بولس نشر المسيحية في المناطق التي زارها أم لا ؟

الدكتور التميمي يستبعد ذلك ويقول :" ولكن جميع الدلائل تشير إلى العكس وليس هناك أية مؤشرات محددة تساعد على تحديد أي أثر للقديس بولس في ذلك الجزء الذي قام بزيارته من البلاد العربية ونستطيع أن ننفيَ احتمال قيام القديس بولس بأي نشاط تبشيري"(٣).

وأنا أرى صحة ماذهبوا إليه من عدم وجود أية آثار لتبشيره أي أنه لم يتنصر على يديه أحد ، ولكني كذلك لا أستطيع أن أنفي أنه قام بالتبشير بين السكان لأن كل صاحب عقيدة مأمور بنشرها بين غيره ولكن

---

(١) المرجع السابق ص : ١٤ .

(٢) المرجع السابق نفس الصحفة .

(٣) التبشير في منطقة الخليج العربي . د . عبدالمالك خلف التميمي ص : ١٥ .

تبشيرة هذا لم يترك آثارا، وربما يرجع ذلك إلى حداثة عهده هو بالنصرانية . ولهذا نجد د . التميمى نفسه يقرر ذلك ويقول : "ولكننا لا نستطيع أن ننفى مع ذلك احتمال مشاركته فى الأفكار التى يحملها بعض أهالى ذلك الجزء ... وبهذا يكون قد هيأهم لقدوم المسيحية فيما بعد"(١) .

إن ماذكرته سابقا عن دخول النصرانية إلى الجزيرة العربية خاص بعصر بولس أما فى العصور المتأخرة السابقة للاسلام فإن النصرانية دخلت عن طريقين أولهما الحركة النسطورية التى دخلت إلى الجزيرة العربية عن طريق فارس والطريق الثانى طريق غزو الأحباش الذين احتلوا جنوب الجزيرة العربية وحكموها قبل الإسلام(٢) .

أما عن تاريخ دخول النصرانية إلى اليمن فلابد من الاشارة الى أهمية اليمن فاليمن واقع فى أقصى جنوب غرب الجزيرة وتطل على البحر الأحمر حيث ملتقى طرق التجارة من بلاد أفريقيا وآسيا . هذا الموقع جعل لها أهمية عظمى تنافست الدولتان العظميان الفرس والروم فى السيطرة عليه ، وكانت الغلبة للدولة الرومانية حيث استطاعت تسيير الجيوش الحبشية النصرانية عبر البحر إلى اليمن ورأينا سعة انتشار النصرانية فى اليمن .

---

(١) التبشير فى منطقة الخليج العربى د . عبدالمالك خلف التميمى ص : ١٥ .

(٢) المصدر السابق ص : ١٦ .

كل ذلك على وجه الاحتمال لأنه لا يمكن القطع بذلك .«وأما الحديث عن النصرانية فى اليمن فهو حديث غامض أوله ، مبهم أصله لا نعرف متى بدأ على وجه التحقيق ، فليس لدينا نص بالسند يشير إلى مبدأ دخول النصرانيةِ العربيةَ الجنوبيةَ»[1].

وقد أوردَتْ المصادرُ الإسلامية عدة روايات مختلفة تدلنا كل واحدة منها مبدأ دخول النصارى اليمن ، ومن تلك الروايات أن رجلا صالحا من النصارى[2] اسمه فيميون كان زاهداً فى الدنيا مستجاب الدعوة ومن صفاته أنه كان يعظم يوم الأحد لا يعمل فيه شيئا وأنه كان بنَّاءً ولا يأكل إلا من كسب يده تعرف عليه رجل اسمه صالح من أهل الشام فاتبعه على دينه وأخذا يدعوان فى قرى الشام وفى ذات مرة دخلا أرض العرب فاختطفتهما سيارة من العرب وباعوهما فى نجران التى كان أهلها يعبدون العُزَّىٰ فى ذلك الوقت على صورة نخلة يعظمونها ويذبحون عندها فأُعْجِبَ الذى اشترى فيميون به وأتبعه على دينه بعدما رأى ورعه وصلاحه وقد قام فيميون بمعجزة حيث دعا على النخلة فأتتها ريح جففتها ، فآمن بدينه أهل نجران كلهم ومن هنالك كانت النصرانية

---

(١) المفصل د . جواد على : ٦/٦٠٧ .

(٢) وقيل فيمون وكذلك ميمون وقيل إنه كان حيَّان وهو أصلا من أهل نجران . راجع النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو ص : ٥٨ .

بنجـــران (١) .

وهناك رواية أخرى وهى " أن الذى أدخل النصرانية ونشرها بـــين الحميريين هو التبع عبد كلال بن مثوب،أخذ التبع نصرانيته بزعمهم مـــن رجل من غسان ذكروا أنه كان قد قدم عليه من الشام فلما علمت حمـــير بتنصر التبع وبتغيير دينه وإعراضه عن عبادتهـا وثبت على الغسانـــيّ فقتلتـــه (٢) .

وادعى لويس شيخو اتفاق المؤرخين على تدين ذلك التبع بالنصرانية وأورد بيتًا من القصيدة الحميرية :

أَمْ أَيْنَ عَبْدُ كَلَّالٍ الماضي علىٰ .·. دينِ المسيحِ الطاهرِ السَّاح (٣)

وانى لم أقف على ادعائه الاتفاق ولكن المؤرخين رووا القصة من رواية واحدة نقلها كل واحد عن الآخر ولكن،د . جواد على شك فى صحـــة القصة فرواها بصيغة ( زعموا - بزعمهم ) وبنى نقده هذا على أصـــول صحيحة وهى أن القصة ترجع فى أصلها إلى أهل الكتاب إما عن طريـق وهب بن منبه وهو قاصٌّ من القصاص يقصد الساجد وهو مسلم من أصل

---

(١) قد وردت هذه القصة فى كثير من كتب التاريخ القديم مثل الطـبرى ١٠٣/٢ وابن هشام فى سيرته ، والكامل لابن الأثير : ١٧١/١ . والنصرانية للويس ص : ٥٨ .

(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للويس شيخو ص : ٥٥

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

يهودى ، وإما عن طريق محمد بن كعب بن أسعد القرظى أصله من يهود بنى قريظة[1] ولا نشك فى هذين المسلمين ولا فى إسلامها ولكن قد تكون علقت بأذهانهم قصص من ماضيهم .

وهناك رواية ثالثة فى أصل دخول اليهودية إلى اليمن هى : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان فى قرية من قراها قريبا من نجران ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، وكان أحد رجال نجران واسمه الثامر يرسل ابنه عبدالله مع غلمان أهل نجران إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فكان يمر على صاحب خيمة بين نجران وتلك القرية وقد أعجبه ما رآه من صلاته وعبادته وتقواه، فجعل يجلس إليه ويسمع حتى دخل دينه وصار يدعو إليه بين أهل بلده[2] فمن ثم انتشرت النصرانية فى نجران وهذه الرواية يرجع سندها إلى محمد بن كعب القرظى الذى سبقت إليه الإشارة قريباً .

وهناك أسباب أخرى انتشرت بواسطتها النصرانية فى اليمن لكن هذه الحوادث لم يذكر قائلوها أنها كانت أول دخول النصرانية فى تلك المنطقة ومن هذه الأسباب التبشير والإرساليات التبشيرية بعدة طرق إما عن طريق التجارة البرية أو البحرية أو بإرسال أناس خصيصاً للتبشير

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد على : ٦/٦١١ .

(٢) المرجع السابق : ٦/٦٠٩ .

مثل ثيو فيلوس الذى أرسله الإمبراطور قسطنطيوس سنة ٣٥٦م ليبشر باليمن وأنشأ كنيستين بأرض حميرَ وثالثة بعدن (١) .

ولا يستبعد أن يكون المبشرون قد أدخلوا النصرانية إلى اليمن عن طريق الحجاز . . . وليس بمستبعد أن يكون قد دخل عن طريق الساحل أيضا مع السفن (٢) .

وأسهب القس لويس شيخو فى ذكر آراء لنصارى قدماء يرجعون فيها دخول النصرانية فى اليمن إلى عهد الرسل ( أى الجيل الثانى بعد عيسى عليه وعلى أمه الصلاة والسلام ) فقال : ومن الرسل الذين ينسب إليهما التبشير بالمسيح فى اليمن متَّىٰ الرسول وأرجع هذا الرأى الى أوريجانس وسقراط وروفينوس وهيرونيموس ونيقيفوروس ، ونحن المسلمين لا نسلم بهذا ولا بشىء منه لأننا لا نعتقد صحة نقل هؤلاء النصارى لأنهم دأبوا دأب اليهود فى محاولة إيجاد أصول قديمة لهم فى الجزيرة العربية . ومن ذلك نقله عن أوسابيوس قوله : " فبلغ بنتانوس تلك الجهات ودعا إلى النصرانية أهلها فأوقفوه على إنجيل مخطوط بالعبرانية للقديس متَّىٰ كان أتى به إليهم القديس برتلماوس وأودعه عندهم (٣) .

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلى ص ٩٠ والمرأة فى الشعر الجاهلى ص ٣٨ د . أحمد الحوفى .

(٢) المفصل د . جواد على ٦/٦١٢ .

(٣) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للويس شيخو ص : ٥٤، ٥٥

ويضيف لويس شيخو قائلا :وفى هذا القول شهادة على ماسبق بالدعوة النصرانية فى جهات اليمن منذ عهد الرسل .

ونحن لانُسَلِّمُ كما سبق أن قلت بذلك لأن أولئك المؤرخين النصارى لم يذكروا اليمن باسمها المعروف أو بأى اسم يدل عليها مثل حِمْيَر أو سبأ ولكنهم ذكروها باسم بلاد الحبش ومعروف أن بلاد الحبش لاعلاقة لها باليمن ألبته وبعضهم ذكرها باسم بلاد الهنود وادعى لويس شيخو أن اليمن كان يطلق عليها الهند القريبة (١) .

وفى الوقت الذى ينقل فيه القس لويس شيخو أقوال المؤرخين من أبناء جلدته ويصدقهم فى ذلك ويدعى صحة مانقلوه قائلا : " وهذا القول لا يخلو من الصحة (٢)".

فى الوقت نفسه لا يقتنع بالتواريخ العربية - ذلك لأنه يتبع العاطفة لا المنهج العلمى - فيقول : إلا أن هذه التواريخ سقيمة جدا ولا سيما تاريخ حِمْيَرَ (٣) ونحن لانسلم له بهذا لأمرين أولهما أن التواريخ العربية لا يمكن إنكار كل مافيها لأنها تعتمد على الروايات المسندة قدر الإمكان وهى قريبة العهد إذا ماقيست بالتواريخ النصرانية التى اعتمد عليها لويس شيخو . وثانى الأمرين أنه على فرض تساوى تواريخنا وتواريخهم بالسقم فإننا نقدم تواريخنا التى كتبها سلفنا الصالح .

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للويس شيخو ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ .

المبحث الثانى

## أسباب انتشـــار النصرانيـة
## بين بعض عرب الجاهلية

---

لقد انتشرت النصرانية بين عرب الجاهلية سواء أكان ذلك فـــى شمالها أم فى جنوبها ولكن ذلك الانتشار لم يكن بالحد الذى فهمـــه القس لويس شيخو وغيره ممن نقلوا عنه دون تمحيص أو تدقيق حيث اعتـــبر ذلك القس معظم قبائل وفخوذ العرب نصارى وسيأتى تفصيل ذلك فيمـــا بعد -إن شاء الله - .

ولكنْ ماهى أسباب انتشارها بين العرب ؟

لقد ذُكِرَتْ عدة أسباب منها :

١ - معرفة النصارى بعلوم لم يكن يعرفها العرب كالطب والمنطـــــق ووسائل الإقناع فنسب دخول بعض سادات القبائل ممن تنصر إلـى مداواة الرهبان لهم ومعالجتهم حتى تمكنوا من شفائهم مما كانـوا يشكون منه من أمراض وقد نسبوا ذلك إلى فعل المعجزات والبركات.(١)

ويذكر أنهم كانوا يتوسلون إلى الله لشفاء النساء العقيمـــات فيلدن ، ومن ذلك أن أحد القديسين توسل إلى الله أن يهـــب ضجعم سيد الضجاعمة ولداً ذكراً فاستجاب الله له فدخل ضجعـــم

---

(١) المفصل د . جواد على ٦/ ٥٨٧ .

وجميع أفراد قبيلته دين القديس وتعمدوا .

٢ - وذكر سبب ثان لانتشارها ذلك أن التجار النصارى اختلطوا بالعرب وجالسوهم فقد روى أن رجلاً من الأنصار يقال له أبو الحصين كان له ابنان فقدمَ تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت ، فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ورجعا إلى الشام معهم .(١)

٣ - ومن أسباب دخولها كذلك تلك التجارة الرابحة تجارة الرقيق من الجنسين فكان العرب يستوردون الرجال المهرة في صناعات لم يكن يعرفها العرب ، ويستوردون النساء الجميلات لاسيما من فارس والروم " ومن الروميات والصقلبيات والجرمانيات من صرن أمهات أولاد عُدّوا من صميم العرب وقد كان أكثرهنّ لاسيما قبل ظهور الإسلام على النصرانية" .(٢) ولكن ماهو دور هؤلاء الرقيق في نشر النصرانية" ؟ يتلخص دورهم في أنهم كانوا يعرفون القراءة والكتابة فيفسرون للناس ماجاء في التوراة والإنجيل ويقصون عليهم قَصصاً نصرانيا ويتحدثون إليهم عن النصرانية ومنهم من تمكن من إقناع بعض العرب في الدخول في النصرانية ومنهم من أَثَّر على بعضهم فأبعده عن الوثنية ولم يستطع إدخاله في النصرانية .(٣)

---

(١) المفصل د . جواد علي ٦/٥٨٨ ، الطبري : ٣/١٠ ، وما بعدها .

(٢) المرجع السابق : ٦/٥٨٨ ، ٥٨٩ .

(٣) المرجع السابق : ٦/٥٩٠ .

وهذه الجملة الأخيرة التى قالها د . جواد على يجب علينا ألا نأخذها على إطلاقها بل لابد من التحفظ فيها حتى لا يفتح الباب للنصارى فيقولوا أن الأحناف لم يتحنفوا إلا بسببٍ من النصارى، والحقيقة أن سبب تحنفهم كان يرجع بعد شرح الله لصدورهم إلى ماهدتهم إليه فطرتهم التى خلقهم الله عليها (( فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ )) (١) .

٤ - ومن أسباب انتشارها كذلك التبشير ، لقد بذل النصارى جهوداً عظيمة فى محاولةٍ لتنصير العالم أجمع فقد " أرسل الإمبراطور قسطنطيوس سنة ٣٥٦ ثيو فيلوس ليبشر باليمن واستطاع أن ينشىء كنيستين بأرض حمير وثالثة بعدن " (٢) .

والتبشير عندهم أمر دينى واجب " وهم يتعبدون بنشر دينهم والتبشير به فيجوبون البلاد ويحوسون القفار ويحتملون المشقات وكان من أثر ذلك أن نفذت المسيحية إلى بلاد العرب وعرفت

---

(١) سورة الروم ، آية : ٣٠ .

(٢) تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية رشيد الجميلى ص : ٣٣٦ مطبعة الرصافي بغداد ط ٢ سنة ١٩٧٦ ميلادية وقد ذكر القصة لويس شيخو فى النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ولكنه ذكر أن المبشر كان اسمه تاوفيل ص ٥٦ .

فى أرجائها ودان بعض العرب بها"[1].

وذلك لأنهم يجعلون ديانتهم ديانة عالمية يجب أن تشمل جميع البشر." جعلت النصارى ديانتها ديانة عالمية جاءت لجميع البشر... وقد قام رجال الدين النصارى منذ أول نشأتها بالتبشير بها ونشرها بين الشعوب"[2].

ومن الطبيعيّ جدا أن يجد هؤلاء الرجال المبشرون المصاعب والمشقات من جميع النواحى إما صعوبة اللغة أو قسوة جو الصحراء أو جفاء الأعراب ولكنهم صبروا على كل ذلك." ولم يعبأ المبشرون بالمصاعب التى كانوا يتعرضون لها فدخلوا مواضع نائية فى جزيرة العرب ومنهم من رافقوا الأعراب وعاشوا عيشتهم وجاروهم فى طراز حياتهم فسكنوا معهم الخيام حتى عُرفوا بأساقفة الخيام وبأساقفة أهل الوبر"[3]. وقد بنى النصارى الأديرة[4] عبر الصحراء العربية وأوجدوا فيها الماء والظل للاستراحة وكل مايخفف من عناء السفر حتى الخمور وكل ذلك من أجل جلب العرب لمشاهدة النصارى وعباداتهم وجلبهم اليها ، ومن حكمتهم أنهم بنوا هذه الأديرة على طرق التجارة وزرعوا حولها البساتين " وقد كانت هذه

---

(١) المرأة فى الشعر الجاهلى أحمد الحوفى ص ٣٤ دار الفكر العربى بيروت ط ٢ .

(٢) المفصل د. جواد على : ٦/ ٥٨٢ .

(٣) المرجع السابق : ٦/ ٥٨٨ . والنصرانية للويس شيخو : ٣٧

(٤) الدير : بيت يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون فى المصر الأعظم وإنما يكون

الأديرة- وهي بيوت خلوة وعبادة وانقطاع إلى عبادة الله والتفكير فيه- مواطن تبشير ونشر دعوة . . . وكانت تتلقى الإعانات من كنائس العراق والشام ومن الروم حتى تمكنت من التبشير بين أكثر القبائل "[1] .

## أشهر الأديرة :

إن الأديرة التي بناها الرهبان في بلاد العرب كثيرة جداً، ولكن أكثرها كان في بلاد العراق والشام ولم أقف على ذكر شيء في قلب جزيرة العرب إلا ماكان منها في نجران وهي :

١) دير سرجس ويكس وهو منسوب إلى راهبين بنجران وفيهما يقول الشاعر :

أيا راهبَيْ نَجْرَانَ مافَعَلَتْ هندُ
أَقَامَتْ فِي عَهْدِي فَإِنِّي لَهَا عَبْدُ
إذا بَعُدَ الْمُشْتَاقُ رَثَّتْ حِبَالُهُ
وما كُلُّ مُشْتَاقٍ يُغَيِّرُهُ الْبُعْدُ

وقيل إنما كان هذا الدير بموضع بين الكوفة والقادسية وكان محفوفاً بالكروم والأشجار وحانات الخمر[2] .

---

= في الصحارى ورؤوس الجبال فإن كان في المصر كانت كنيسة أو بيعه
معجم البلدان ياقوت الحموي : ٢/٤٩٥ .

(١) المفصل د . جواد علي : ٦/٥٨٩ - ٥٩٠ .

(٢) معجم البلدان ياقوت الحموي : ٢/٥١٤ .

٢) دير نجـران :

فى موضعين أحدهما لآل عبدالمدان بن الديّان من بـــنى الحارث بن كعب ومنه جاء القوم الذين أرادوا مباهلة النبى - صلى الله عليه وسلم - .

وكان بنو عبد المدان بنوه مربعًا مستوى الأضلاع والأقطار مرتفعا من الأرض يُصْعَدُ إليه بدرجة فكانوا يحجونه هم وطوائف من العـرب سنن يُحِلُّ الأشهرَ الحُرُمَ ولا يحج الكعبة . . . وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك إلى أن جاء الاسلام فجاء إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - العاقب والسيد وإلياء أسقف نجران للمباهلة ، وقد ورد ذكر اسمه فى ماينسب للأعشى يقول لناقته :(١)

وكعبة نجران حتمٌ عليكِ ∴ حتى تَناخِـى بأبوابهـــا
نزورُ يزيدًا وعبدالمسيحِ ∴ وقَيْسًا هم خيرُ أَرْبابِهـــا
إذا الحَبْراتُ تَلوَّتْ بهمْ ∴ وَجرُّوا أَسافِلَ هُدَّابِهـــا
وشاهدنا الجُلَّ والياسمي ∴ ـن والسُّمعَاتِ بِقُصَّابِهـــا
وبَرْبَطْنَـا معـل دائـم ∴ فأيُّ الثلاثةِ أزرىٰ بهـــا

## المبحث الثالـث

## أماكن تواجد النصارى قبل الإسلام

لقد وجدت النصرانية قبل الإسلام فى عدة مواضع من الجزيرة العربية ولكنها كانت تختلف من مكان إلى مكان من حيث المذهب الذى تعتنقـه

---

(١) معجم البلدان ياقوت الحموى : ٢/٥٣٨ . والنصرانية لويس شيخـــو ٦٤ .

ومن حيث القوة وغير ذلك فالنصرانية فى نجران وما جاورها من بلاد اليمن كانت أقوى منها فى يثرب وما جاورها وكذلك كان للنصرانية فى شمـــــال الجزيرة شوكة قوية لقربها من الدولة الرومانية ولاعتناق كثير من السكان لها وسأتعرض هنا لأشهر الأماكن التى وجدت فيها النصرانية وهى يثـــــرب، وحضر موت ، والبحرين ، ونجد ومكة المكرمة .

المطلب الأول : النصرانية فى يثرب :

ادعى لويس شيخو (١) أن الأوس والخزرج كانوا قبل مجىء الإسلام يدينون بالنصرانية واستدل على ذلك بأدلة لاتقوم بها حجة وهذه الأدلة هى :

١) ماروى من وجود قبر لرسول من رسل المسيح عليه السلام على أعلى قمة جبل العقيق المجاور للمدينة ،ولا نُسَلِّم له بهذا الدليل لما يأتى :

أ - أن وجود ذلك القبر فى أعلى الجبل لايدل دلالة قطعية بـــأن أهل ذلك المكان كانوا على ديانة صاحب القبر فقد يكون تاجـرًا أو سائحًا مات هناك ودفن، لاسيما وأن المدينة كانت مركـــزًا تجاريًا هامًا يقصده التجار من كل مكان فهى على طرق القوافـل البرية والبحرية .

ب - أن كون هذا القبر لأحد رسل المسيح عليه السلام فيه دلالة على أن ذلك الرسول جاء فى عصر المسيح عليه السلام أى قبل نزول الأوس والخزرج تلك الديار بل إنه توفى قبل نزولهم بمئات السنين .

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو ١١٢ وما بعدها .

٢) ودليله الثانى هو نسبب الأوس والخزرج الممتد إلى غسان ومن المعروف أن بعضا من قبيلة غسان دانوا بديانة الروم لوقوعهم تحت سيطرتهم ومجاورتهم واستنتج من ذلك أن الأوس والخزرج دانوا بديانة أقربائهم من غسان وضعف هذا الرأى واضح من جهات :

أ - ادعائه أن قبيلة غسان كانت كلها على النصرانية ونقول له لم يثبت حتى الآن فى أى مصدر تاريخى أن غسان كانت كلها تدين بالنصرانية إنما بعض بطونها هم الذين دانوا بها .

ب - أن صلة النسب هذه - إن صحت - لاتقتضى الاتفاق فى الدين فأبو طالب عمّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعكرمة ابن أبى جهل مسلم وأبوه رأس من رؤوس الكفر .

ثم إن تفرّقَ الغساسنة كان بعد حدوث هزيمة قبيلة عك لهم[1] فهاجر قسم منهم إلى الشام وقسم الى يثرب ولم يعرف أنهم إذ ذاك كانوا على النصرانية فالغساسنة تنصروا بعد نزولهم بجوار الروم فى الشام وبعد خضوعهم لهم ولم يحصل لقاء يذكر بين الغساسنة والأوس والخزرج .

جـ - ولا يستطيع أحد أن يجزم بأن مساعدة أبى جبيلة الغسانى للأوس والخزرج ضد اليهود كانت بسبب اتفاقهم فى الدين بل يرجع ذلك إلى سببين هما :

---

(١) الايناس بعلم الأنساب أبى القاسم الحسين بن على بن الحسين تحقيق ابراهيم الابيارى ص ١٩ دار الكتاب اللبنانى ط٢ ١٤٠٠هـ .

* ماذكر فى كتب التاريخ من أن الصحيح أن أبا جبيلة الغسانى لم يكن غسانيًا أصلا إنما هو خزرجى تقرَّبَ إلى أمراء غسان حتى نال منزلة عظيمة عندهم وتولى شيئا من أمرهم ، وعلى هذا فهو قد هب لمساعدة أبناء عمه الأوس والخزرج ، وقد ذكرتُ ذلك عند الحديث عن علاقة اليهود بالأوس والخزرج فى المدينة .(١)

* وقد تكون مساعدة أبى جبيلة للأوس والخزرج ناتجة عن حقد النصارى فى الدولة الرومانية على اليهود وكانوا يتحيَّنُون الفرصة للقضاء عليهم ولا يجهل أحد العداوة التى كانت قائمة بين اليهود والنصارى فى ظل الدولة الرومانية .

٣) واستدل كذلك بدليل ثالث ألا وهو إطلاق القرآن كلمة أهل الكتاب وقال : " بل ربما غلب اسم أهل الكتاب على النصارى"(٢) ، ونحن نوافقه على أن هذه الكلمة المقصود بها اليهود والنصارى ولا نوافقه بأنها غلبت على النصارى دون اليهود لأن اليهود كانوا أكثر عددا وأعظم شأنا وأكثر احتكاكًا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهنا يرد سؤال هل كلمة أهل الكتاب يقصد بها يهود ونصارى المدينة أم اليهود والنصارى فى كل مكان ؟ وهل هى خاصة بنصارى ويهود زمن النبى - صلى الله عليه وسلم - أم عامة فى أهل الكتاب فى كل مكان ؟ .

---

(١) راجع ص : ٧٥ من هذا البحث .

(٢) النصرانية للويس شيخو ص : ١١٤ .

لا يشك مسلم فى أنها عامة لكل زمان ومكان وأنها ليست خاصة باليهود دون النصارى أو العكس .

إذاً أنا لا أنفى وجود النصارى فى يثرب قبل الاسلام ولكنهم لم يكن لهم أثر يذكر أو حادثة تسجل إذا قارنّاهم باليهود . وإن ردودي السابقة على رأى لويس شيخو ليست من أجل أن أنفى وجود النصرانية فى يثرب وإنما هى من أجل أن أرد عليه زعمه بأن الأوس والخزرج كلهم كانوا نصارى .

المطلب الثانى : النصرانية فى حضر موت :

(١)

لقد ورد خبر وهو عبارة عن بيت شعر لرجل من وفد حضر موت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والبيت هو :

أَنْتَ النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نُخَبِّرُهُ
وَبَشَّرَتْنَا بِكَ التوراةُ والرُّسُلُ

(٢)

وقد أخذ لويس شيخو هذا البيت وظنطن حوله وأراد أن يأخذ منه دِلالة على وجود النصرانية فى حضر موت ، ولا أُسَلِّم له بذلك ، وأرد عليه ببساطة فأقول - وبالله التوفيق - ما المانع من القول بيهودية قائل بيت الشعر السابق ؟ لاسيما وأن اليهود كانوا منتشرين فى جنوب الجزيرة كالنصارى سواء بسواء فإنى أرى أنه لا يمكن القطع بنصرانيته كما لا يمكن

---

(١) طبقات ابن سعد فصل الوفادات . ١ / ٣٥٠ دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ

(٢) النصرانية للويس شيخو ص : ٦٩ .

القطع بيهوديته .

وإن ثبت ذلك فهل كل أهل حضر موت كانوا على دينه ؟ .

أما لويس شيخو فيدعى ذلك، ويستدل لذلك بعدة أدلة - كعادته - لاتقوم بها حجة على دخول أهل حضرموت فى النصرانية . ومن هذه الأدلة أنَّ قسماً كبيراً من كِنْدَهْ كانوا يسكنون فى حضرموت وقال : " إن النصرانية كانت الديانة الغالبة على كِنْدَه" (١) وهذا ادعاء وزعم لادليل عليها .

واستدل كذلك بأن حضر موت كانت مركزًا تجاريًا فى جنوب الجزيرة العربية على شاطىء البحر الأحمر والمحيط الجنوبى وأن أهلها كانوا يختلطون بتجار الروم النصارى فيدينون بديانتهم .

واستدل كذلك بدليل أضعف من سابقيه وهو وجود مجموعة من الجزر فى المحيط انتشرت فيها النصرانية فلابد - على رأيه - أن تكون حضرموت قد تأثرت بنصرانية هذه الجزر وذكر من بين هذه الجزر جزيرة سرنديب ومعلوم لدينا أن سرنديب بعيدة عن حضر موت بعدًا ليس بالقليل فسرنديب تقع جنوب الهند فكيف يعقل أن تنتقل ديانة من سرنديب إلى حضر موت فى ذلك الوقت ، لا أقول أن ذلك مستحيل بل قريباً منه . وإذا وافقناه على ادعائه بأن العرب تأثروا بالنصارى المجاورين لهم لماذا لا يوافقنا هو إذا ادعينا أن النصارى تأثروا بالعرب المجاورين

---

(١) النصرانية للويس شيخو ص ٦٨ .

لهم ،نحن لا ندعي ذلك ولكنه من باب الرد على افتراءاته ومزاعمه .

## المطلب الثالث : النصرانية في البحرين :

من المعتقد لدينا أن النصرانية دخلت بلاد البحرين[1] لأن ذلك يكاد يكون مشهورا بين الجميع وقد دخلتها عن طريق العراق وبلاد فارس " فعششت في مواضع منها مثل البحرين وقطر وهجر وبعض جزر الخليج"[2].

ولأهمية تلك المنطقة بما فيها من مصدر عظيم للثروة ألا وهو مصائد اللؤلؤ انتشرت فيها أكثر المذاهب والملل مثل المجوسية واليهودية والنصرانية والوثنية وغيرها[3] .

ومن اشتهر أنه كان على النصرانية من أهل البحرين الجارود بن عمرو بن حنش المُعَلَّىٰ[4] ، والجارود لقب لبشر بن عمرو بن حنش واختلف في اسمه فقيل الجارود بن المُعَلَّىٰ وقيل ابن العلاء ولقب بالجارود لأنه

---

(١) البحرين كانت تطلق على دولة البحرين الحالية وقطر وأكثر المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية بما فيها الاحساء ( هجر) ودارين وتاروت .

(٢) المفصل لجواد علي : ٦/ ٦٢١ .

(٣) راجع معجم البلدان ياقوت الحموي : ١/ ٣٤٦ وما بعدها .

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني : ١/ ٢١٧ . دار الكتاب العربي بيروت . راجع كذلك تقريب التهذيب : ١/ ١٢٤ . وتجريد أسماء الصحابة للذهبي : ١/ ٧٤ .

غزا بكر بن وائل فاستأصلهم جميعا قال المُفَضَّلُ العبدى :

فَدُسْنَاهُمْ بِالْخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
كَمَا جَرَدَ الْجَارُودُ بَكْرَ بْنَ وَائِلِ

وكان سيد قومه وقدم مع وفد قومه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة عشر وكان حَسَنَ الإسلام صلباً قُتِلَ بعقبة الطين سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر ـ رضى الله عنه ـ وسُمِّيَتْ بعقبة الجارود .

**المطلب الرابع : النصرانية فى اليمامة :**

أما عن النصرانية فى اليمامة فقد تخبط لويس شيخو[1] عند الحديث عنها تخبط الأعمى فى الظلام الدامس ونقل عن مؤرخين لا يدينون بالاسلام وحاولوا إثبات وجود النصرانية فى اليمامة ومن أولئك المؤرخين عمرو بن مَتَّىْ صاحب كتاب فطاركة المشرق . ومما يدل على تخبطه أنه عقد فصلا للحديث عن النصرانية فى اليمامة وآخر مستقلا للحديث عن النصرانية فى نجد وكأن اليمامة ليست من نجد بل إنه أعتبر الجوف من بلاد نجد[2] .

وقد ردَّ القصة المشهورة والتى تفيد أن أهل اليمامة كانوا يعبدون إلٰهًا من عجين أكلوه فى إحدى سنين الجدب ، ردها برد عقلى سخيف واستوحى من كون الصنم مصنوعًا من العجين أن ذلك يدل على شعيرة

---

(١) النصرانية للويس شيخو ص ٧٢

(٢) المرجع السابق : ص ١٢١ .

نصرانية هى تقربهم من القربان الأقدس ، ثم إنه ادعى أن مُسَيْلَمَةَ الكذاب كان نصرانيا قاوم الإسلام بدافع من تدينه بالنصرانية فقال : " وكـــان نصرانياً هو وسجاح التغلبيه امرأته " .

وهو بزعمه هذا يدلنا على جهله بعلم التاريخ ،الناتج عن حقده على الإسلام فمن يجهل أن مسيلمة كان مُدَّعِياً للنبوة مرتداً عن الإسلام وأن سجاح لم تدخل الحرب ضد المسلمين بل عادت إلى ديارها ديار بنى تميم " القصة المشهورة فى كتب التاريخ " وعند حديث شيخو عن هذه الحادثة ينقل رأياً لسائح إنجليزى اسمه بلغراف يقول : " وإن أنصار النبى - صلى الله عليه وسلم - كعلى وخالد بن الوليد اضْطَرُوا إلى استعمال أقطع الأدلة أى السيف ليدخلوا أهلها فى الاسلام "(١) .

ويقول بلغراف كذلك : " قبل الإسلام كانت قبائل العرب فى وسط الجزيرة راتعة فى بحبوحة من السلام الذى فقدته بعد ذلك "(٢) .

قول كهذا فيه افتراء على الله وافتراء على التاريخ فأى سلام كـــان يعيشه العرب فى الجزيرة ؟ هل الحروب والغارات والسلب والنهب وقطع الطريق سلام ؟ إنه لقول أدنى من أن أتوسع فى الرد عليه وعلى لويس شيخو الذى يؤيده بقوله : " وليس كلامُ هذا الرحالة حديثَ خرافة بـــل تؤيد روايته الآثار القديمة وتاريخ قبائل نجد " .

---

(١) النصرانية للويس شيخو : ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق . نفس الصفحات .

المطلب الخامس :

النصرانية فى مكة المكرمة :

لقد وردت عدة أخبار واشتهرت عن وجود بعض النصارى فى مكة من أهلها وغيرهم ومنهم ورقة بن نوفل بن عمّ السيدة خديجة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو القائل :

أقول إذا صليت فى كل بيعة
تباركتَ قد أكثرتَ باسمكَ داعيًا (١)

معناه أى خلقتَ خلقًا كثيرًا يدعون باسمك . (٢)

وهذا لا يعنى أن النصرانية كانت متفشية فى أهل مكة لاسيما وأن الأخبار لدينا صحيحة متواترة عن ديانة المكيين وما ذكره القرآن الكريم عن وثنيتهم فيه دلالة قاطعة على غلبة الوثنية على غيرها من الديانات فى مكة. وإذا استقرأنا السور المكية كلها نجد أنها ركّزت الحديث عن التوحيد وضده الشرك ولم تتعرض لأهل الكتاب بشىء بل يكاد يكون كل ماجاء عن أهل الكتاب فى القرآن الكريم فى المدينة دون مكة ومن صحت نسبتهم إلى النصرانية فى مكة لا يزيدون بحال عن عدد أصابع اليد الواحدة هم ورقة بن نوفل وعبدالله بن جحش وعثمان بن الحويرث أما الأخيران فلم يتنصّرا فى مكة بل خرجا منها يطلبان الدين الحق مع ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل فتنصروا إلا زيدا وسيأتى الحديث عنه فى الحنفاء - إن شاء الله - .

---

(١) الأغانى لابى الفرج : ٣/١١٩ .

(٢) البيئة والمجتمع من خلال الشعر الجاهلى على بن عبدالعزيز الحنايا ص ٤٤٦ رسالة ماجستير سنة ١٤٠٤هـ .

إلا أن أبا الوليد[1] الأزرقي ذكر عددا منهم ولكنه خلط بين النصراني والحنيف، وذكر القس لويس شيخو ادعاءً وزعماً أن زيد بن حارثة مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان نصرانياً وقوله هذا مردود إذ لم يدلل على ذلك وروى أيضا قولاً للأصفهاني في كتابه الأغاني أن عتبة بن أبي لهب كان نصرانياً وقد ذكرتُ من قبل أننا لا نعتمد على الأغاني كمرجع تاريخي .

## المبحث الرابع

## أشهر القبائل التي دخلتها النصرانية :

إن الحديث في هذا الموضع طويل وفيه خلاف كثير وإساءة فَهْمٍ مِنْ بعض من كتبوا فيه من علماء الأديان إذ عَدُّوا كل قبيلة فيها فرد نصراني في عداد النصارى وهذا لا يصح ولا يُسَلَّم به ولهذا إنني أرى أنه يمكن أن نتعرف على ديانة القبيلة مما روى عن أفرادها من شعر ونثر ومما قاله العلماء الثقات فيها ، وإن صحت نسبة الشعر أو النثر إلى قائله فإنها تبين لنا ديانة قائلها فقط لا ديانة قومه كلهم لأن كل قبيلة وجد فيها الحنيف والوثني وغير الديني وأحيانا اليهود أو النصارى . فنجد في القبيلة نفسها حنفاء يَدْعون إلى حنيفيتهم ونصارى يدعون إلى دينهم وماجنين يدعون إلى الرذيلة ويفتخرون بها كشرب الخمر والقمار والاعتداء على الأعراض وغير ذلك . أما ادعاء لويس شيخو[2] عندما عقد فصلا خاصا أطال

---

(١) أخبار مكة أبو الوليد الأزرقي .

(٢) النصرانية لويس شيخو ص ١٢٤ وما بعدها .

الحديث فيه عن القبائل العربية المتنصرة وذكر ستا وأربعين قبيلـــــة وفخذا من قبيلة على النصرانية أقول إن ادعائه هذا مردود عليه ولا يصح له من ذلك شيء إنما يصـــــح أن يقول إن بعضاً من القبائل التـى ذكرها لويس شيخو قد وجدت النصرانية بين قلة من أفرادها لَاكُلِّهم .

ومن أشهر القبائل التى ذكر دخول النصرانية فيها قبل الاســـلام بنو امرىء القيس من تميم وبنو تغلب من ربيعة وطيء ومذحج وبهـــراء وسليح ولخم ومن قريش ثلاثة هم ورقة بن نوفل بن أسد وعثمان بـــن الحويرث بن أسد (١) وعبدالله بن جحش وقد سبق الحديث عنهم .

ومعظم هذه القبائل لم يرد أنها تنصرت فى الجزيرة بل بعـــد نزوحها وسكناها ببلاد الشام ومجاورتها الروم (٢) .

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ١/ ٢٧٧ . والمفصل د . جواد على : ٦/ ٥٩٣ .

(٢) المفصل د . جواد علـى ٦/ ٥٩٣ .

## ورقة بن نوفـــــــــل

ومن أشهر النصارى الذين عرفوا فى العصر الجاهلى ورقة بن نوفل رضى الله عنه واسمه " ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى "[1].

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لا تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّى رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ "[2] رواه الحاكم عن عائشة مرفوعا .

وروى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن ورقة فقالت خديجة : إنه كان قد صدقك ولكن مات قبل أن تظهر ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( أُرِيتُهُ فى المنام وعليه ثيابٌ بِيضٌ ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك )[3] .

ومر بلال بن رباح - رضى الله عنه - وهو يُعَذَّبُ برَمْضاء مكة فيقول : أحد أحد فوقف عليه فقال : أحد أحد والله يابلال ونهاهم عن تعذيبه فلم ينتهوا فأنشد :

---

(١) بلوغ الأرب للألوسى : ٢٦٩/٢ .

(٢) المستدرك : ٦٠٩/٢ . قال محققو شرح السنة للبغوى : " صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وهو كما قالا " شرح السنة : ٢٤١/١٢ الهامش رقم ٢ .

(٣) أخرجه الترمذى برقم : ٢٢٨٩ فيه عثمان بن عبد الرحمن ليس بالقوى ولكن يعضده الشاهد السابق .

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لَهُـــــمْ
أَنَا النذيرُ فلا يَغُرُرْكُم أحـدُ
لاتعبدُنَّ إلٰهاً غير خَالِقِكُـــــم
فإن دُعيتُمْ فقولوا دونهَـدَدُ
سُبحانَ ذي العرشلاشيءَ يُعادِلُـهُ
ربُ البريةِ فردٌ واحدٌ صمـــدُ
مُسَخَّرٌ كُلُ مَنْ تحت السمـــاءِ لـــــه
لاينبغي أن يُناوي مُلْكه أحـدُ
لم تُغْنِ عن هرمز يوماً خزائِنُـــهُ
والخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عادٌ فماخَلَدُوْا
ولا سُلَيْمَانَ إذ دان الشُعوبُ لَـــهُ
والجنُّ والإنْسُ تَجْرِي بينها البُرُدُ
لاشيء مما ترىٰ تبقىٰ بشاشتُـــــهُ
يبقى الإلٰهُ ويؤدىٰ المالُ والولـدُ (١)

ويبدو أن نصرانيته لم تكن تلك النصرانية المحرفة المبدلة لأنه يبدو من خلال شعره موحداً على دين عيسى - عليه الصلاة والسلام - الذى جاء به من عند ربه قال الألوسى : " اتَّبَعَ دين النصرانية ولم يتبعهم فى التبديل بل فى التوحيد " (٢) .

---

(١) بلوغ الأرب الألوسى : ٢/٢٧١ .
(٢) بلوغ الأرب : ٢/٢٧٢ .

وقد ثبتت صحبته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد روى البخارى - رحمه الله - بسنده عن عائشة - رضى الله عنها - الحوار الذى دار بينه وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى حديث طويل منه : ( فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نَزَّلَ اللهُ على موسى ، ياليتنى فيها جذعا أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى وإن يدركنى يومُك أنصرْك نصرا مُؤَزَّرًا ثم لم ينشب ورقة أن توفى )[1] - رضى الله عنه - .

---

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى : ١ / ٣ .

الفصل الثالث

## الحنيفية

لقد كان العرب قبل مجيء عمرو بن لحي - الذى يسمى موزع الأصنام وهو أول من أتى بها إلى الجزيرة - على دين أبيهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذى قال الله تعالى عنه : (( مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ))(١) .

والحنيفية هى الأصلُ فى الأديان كلها وهى دين الإسلام قال تعالى فى الحديث القدسى : (( إنى خلقت عبادي كُلَّهُم حُنفاء ))(٢) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ( لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة )(٣) وقال - صلى الله عليه وسلم - : ( أحب الدين إلى الله تعالى الحنيفية السمحة )(٤) .

وبالرغم من انتشار هذه الديانة بين مجموعة ليست بالكثيرة من عرب الجاهلية الا أننا لا نملك دليلاً أو نصًا يتحدث عن تفصيل عبادتهم ، ولكنّا نستأنس بما روى عنهم أنفسهم من نبذهم لعقائد الجاهلية جميعها وبتطلعهم إلى الفضيلة فى معاشهم ومخوفهم من الله وإيمانهم بالقضاء والقدر واليوم الآخر والغيب وهذا يعطينا فكرة إجمالية عن عقائدهم

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٦٧ .

(٢) رواه مسلم جنه ٦٣ وأحمد فى مسنده : ٤/١٦٢ .

(٣) رواه أحمد فى مسنده : ٥/٢٦٦ ، ٦/١١٦ ، ٢٣٣ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الايمان ٢٩ جـ١ ص ١٥ .

وتصوراتهم للحياة .

ولكن ماهو معنى الحنيفية عند العرب ؟ وما هو المقصود من إطلاقها اصطلاحا ؟ ومن هم أشهر الحنفاء في العصر الجاهلي ؟ هذا كله ســـا سأتحدث عنه -إن شاء الله تعالى - في هذا الفصل بشيء من الايجاز .

## المبحث الأول : معنى الحنيفية :

ذكر الله تبارك وتعالى هذه اللفظة واشتقاقاتها في عشرة مواضع ســن القرآن الكريم وهي : (( وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ))(١) .

وقال : (( مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصْرَانِيًّا ولكنْ كانَ حنيفاً مسلماً وما كانَ مِنْ المُشرِكِينَ ))(٢) .

وقال : (( فاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً وما كان من المشركين ))(٣) .

وقال : (( ومن أحسنُ دينًا ممن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًــا ))(٤) .

وقال : (( إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ حنيفاً ومــا أَنَا مِنْ المشركين ))(٥) .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٣٥ .
(٢) سورة آل عمران ،آية : ٦٧ .
(٣) سورة آل عمران ، آية : ٩٥ .
(٤) سورة النساء ، آية : ١٢٥ .
(٥) سورة الأنعام ، آية : ٧٩ .

وقال : (( وأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ولا تَكُونَنَّ مِنْ المُشْرِكِينَ ))[1] .

وقال : (( إنَّ إبراهيمَ كانَ أمةً قانتاً للّٰه حنيفا ولم يكُ من المشركين ))[2]

وقال : (( فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ من الأوثانِ واجْتَنِبُوا قولَ الزورِ حنفاءَ للّٰه ))[3] .

وقال : (( فأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفًا ))[4] .

وقال : (( وما أُمِرُوا إلا لِيَعبُدوا اللّٰه مخلصينَ له الدِّين حنفاء ))[5] .

المطلب الأول

**معنى الحنيفية عند اللغويين :**

روى ابن الجوزى عن الزجاج قوله : " الحنيف فى اللغة المائل عن الشيء أخذ منه قولهم رجل أحنف وهو الذى تميل قدماه كل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها واستدل على ذلك بقول أم الأحنف تُرَقِّصُهُ :

واللهِ لولا حنفٌ برجلِه
ودِقَّةٌ في ساقه من هُزلِه
ماكان فى فتيانكم مِنْ مثلِه "[6]

---

(١) سورة يونس ، آية : ١٠٥ .
(٢) سورة النحل ، آية : ١٢٠ .
(٣) سورة الحج ، آية : ٣٠ ، ٣١ .
(٤) سورة الروم ، آية : ٣٠ .
(٥) سورة البينة ، آية : ٥
(٦) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى : ١/ ١٥٠ ، المكتب الاسلامى ط١ ١٣٨٤هـ .

وقال الشاعـر :

إذا حَوَّلَ الظِلُّ العشيَّ رأيتـــه
حنيفاً وفى قرن الضُّحى يتنصر (١)

قال ابن كثير (٢) " حنيفا أى مستقيما " . ونسب هذا الرأى إلى محمد ابن كعب القرظى وعيسى ابن جارية وأورد هذا المعنى ابن الجوزى فقال (٣) " إنه المستقيم " ومنه قيل للأعرج حنيف نظرا له إلى السلامة " أى تيمنـا بشفاءه .

وقال الألوسى : "حنيفاً أى مستقيماً أو مائلاً عن الباطل إلى الحـق ويوصف به المتدين والدِّين " (٤)

المطلب الثاني

ولكن مامعنى الحنيف فى الاصطلاح ؟

قيل فى معناه أقوال كثيرة إليك أشهرها :

قال الطبرى (٥) : " من استقام على ملة إبراهيم هو الحنيف " .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى : ٢/ ١٤٠ دار الكتب المصرية ط٢ ١٣٧٣هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير : ١/ ١٨٦ . دار المعرفة ١٤٠٣هـ.

(٣) زاد المسير ابن الجوزى : ١/ ١٥٠ .

(٤) روح المعانى محمود شكرى الألوسى : ١/ ٣٩٤ دار إحياء التراث العربـــى .

(٥) تفسير الطبرى : ٣/ ١٠٥ ، ٣٠٦ .

وقيل : " إن كل من اختتن وحج فهو حنيف "[1] وقد أضاف بعضهم إلى الاختتان والحج اعتزال الأصنام والاغتسال من الجنابة"[2]، وذكر الرازى فى تفسيره أربعة آراء[3] حول معنى الحنيفية هى :

١ ) أنها حج البيت رواه عن ابن عباس والحسن ومجاهد .

٢ ) أنها اتباع الحق رواه عن مجاهد .

٣ ) أنها اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التى صار بها إماما للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام .

٤ ) أنها الإخلاص لله وحده والإقرار بالربوبية والإذعان للعبودية .

يبدو لى أن جميع هذه الأقوال والتى قبلها حول نقطة واحدة وهى: الإيمان بالله واتباع دين إبراهيم ولكن بعضا من هذه الأقوال أعم من بعض فهى متداخلة وتعتبر بمثابة قول واحد ، وقيل فى ذلك أقوال أخرى منها قول أبى العالية: "الحنيف الذى يستقبل البيت بصلاته ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلا"[4].

ومنها كذلك قول أبى قلابة : الحنيف الذى يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم[5] .

---

(١) لسان العرب ابن منظور : ١٠/٤٠٢ .

(٢) المفصل د . جواد على : ٦/٤٥٢ .

(٣) تفسير الرازى : ٤/٨٩ . مؤسسة المطبوعات الاسلامية القاهرية .

(٤) تفسير ابن كثير : ١/١٨٦ .

(٥) المصدر السابق . نفس الصفحة .

وعن ابن عباس حنيفا أى حاجًّا قال ابن كثير كذا روى عن الحسن والضحاك وعطية والسدى ، هذا ماقاله العلماء فى معنى الحنيفية فهى تشمل الإيمان والحج والاغتسال والاختتان وغير ذلك ولكن ليس فيها دلالة كافية تدلنا على عقيدة الحنفاء فى الله أو تصورهم للكون ، كل ماكان من أمرهم أنهم نبذوا عبادة قومهم ومالوا عنها باحثين عن الحق الذى لم يجدوه عند أصحاب الكتب من يهود أو نصارى ونجدذلك واضحا من قول زيد بن عمرو بن نفيل : " اللهم لو أعلم أىَّ الوجوه أحب اليك سجدت إليه ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته " .

هذه بعض الأقوال فى الحنيفية عند قدماء العلماء ولكن ماهو مفهوم المعاصرين لها ؟ يقول د . جواد على : " وعندى أن الحنفاء جماعة سخرت من عبادة الأصنام وثارت عليها وعلى المثل الأخلاقية التى كانت سائدة فى ذلك الزمن ودعت إلى اصلاحات واسعة فى الحياة وإلى محاربة الأمراض الاجتماعية العديدة التى كانت متفشية فى ذلك العهد دعاها إلى ذلك ما رأته من قومها من اغراق فى عبادة الأصنام ومن إسفاف فى شرب الخمر ولعب الميسر " .

وإنى أرى أن الحنفاء جماعة بحثت عن الحق بكل صورة

---

(١) تفسير ابن كثير : ١٨٦/١ .

(٢) وقع تصحيف فى كثير من الكتب فقالوا : " ثم يسجد على راحلته " وهذا خطأ بين .

(٣) المفصل د . جواد على : ٤٦٢/٦ .

ولها هدف واحد هو الارتقاء بأخلاق هذه الأمة ومُثُلِها إلى درجة عليا وإخراجها من ظلمات الشرك والوثنية إلى طريق الرشد ولكنهم هم أنفسهم يجهلون الطريق الذى يؤدى إلى ذلك الهدف ، وإن هدايتهم كانت بتوفيق الله لعقولهم بالسير فى خط مستقيم إذ لاكتاب صحيح فى عصرهم يرجعون إليه لدراسة التوحيد أو وزن الأفكار السائدة فى ذلك العصر إلا ميزان العقل السليم الذى هداه الله إلى البحث عن الطريق فى ظلمات الوثنية والهمجية والكتب المحرفة ولم يهتد أولئك الحنفاء إلى اليهودية أو النصرانية لأنهم رأوا بطلانهما واضحًا فليس أمامهم إلا الخلوة والتفكر قال تعالى : (( وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ))(١) ففى هذه الآية تعريض بشرك اليهود والنصارى ولا يعقل أن يفر الحنفاء من شرك الى شرك .

---

(١) البقرة ، آية : ١٣٥ .

المبحث الثانـى

## أشهر الحنفـــاء

لقد حصل خلط من كثير من المؤرخين حيث خلطوا بين الحنفـــاء وأتباع الديانات الأخرى فنسبوا بعض المتنصرين إلى الحنفاء كورقة بـــن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبدالله بن جحش وأبي عامر الراهب، ونسبـوا كثيراً من الحنفاء إلى النصرانية كقس بن ساعدة الإيادى وزيد بن عمرو بن نُفَيْل وغيرهم ومن أشهر الحنفاء فى العصر الجاهلى :

### قس بن ساعـــدة الإيادى

عاش قس فى الجاهلية قُبَيل مبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد رآه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سوق عكاظ يخطب على جمل أحمـــر له، ورويت عنه خطب وأشعار كثيرة تدل على توحيده لرب العالمين وإيمانـه بالبعث والجزاء ، ومن خُطبه المشهورة قوله : أيها الناس إسمعـــــوا وَعُوا فإذا وَعَيْتُمْ فانتفعوا، إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ماهـــو آت آت إن فى السماء لخبرا، وإن فى الأرض لعبرا، مهاد موضوع، وسقـــف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لن تغور، ليل داج، وسماء ذات أبراج، أقســـم قس قسما حتما، لئن كان فى الأرض رضىً لَيكونن بعده سخطا وإن للـــه ـ عزت قدرته ـ دينا هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا"[1].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٢/٢٥٤ وبلوغ الأرب للألوسى : ٢/٢٤٥ .

وذكرت هذه القصة بألفاظ أخرى فى عدة أحاديث جاءت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بعض طرقها ضعف ولكن يقوى بعضها بعضا قال الحافظ بن كثير - رحمه الله تعالى - : وهذه الطرق كلها على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة وروى عن البيهقى قوله " وإذا روى الحديث من أوجه أخر، وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا"(١) .

ويتبين لنا من النص توحيد قس وإيمانه، فطريق إيمانه هو التفكر فى مخلوقات الله التى دلت على عظمته سبحانه وتعالى .

ومن شعره :

فى الذَّاهبيْنَ الأَوَلِيـــــــــ
ـنَ لَنَا بَصَائِـــــــــرْ
لَمَّا رَأَيْتُ مَـــــــــوَارِدًا
لِلْمَوتِ لَيْسَ لَهَا مَصَـــادِرْ
وَرَأَيْتُ قَوْمِـــي نَحْوَهَـــــا
يَمْضِي الأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِـــرْ
لَا مَنْ مضى يأتـي إِليـــــــ
ـك وَلَا مِنْ الْبَاقِينَ غَابِـــرْ
أَيْقَنْتُ أَنِّـــي لَا مَحَـــــا
لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِـرْ(٢)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٢٥٨ .

(٢) المصدر السابق : ٢/ ٢٥١ .

## زيدبن عمرو بن نفيل

- رحمه الله -

---

كان قد ترك عبادة الأوثان وفارق دينهم وكان لا يأكل إلا ماذبح على اسم الله وحده وكان يصلى إلى الكعبة ويقول : " إلهى إله إبراهيم ودينى دين إبراهيم وكان يحي الموءودة ، قال ابن كثير : " اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلا دين الحنيفية دين إبراهيم" .

وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟

وروى البخارى فى صحيحه - ذِكْرُ زيد بن عمرو بن نفيل - بسنده عن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنهما - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدَح قبل أن ينزل على النبى - صلى الله عليه وسلم - الوحى فَقُدِّمَتْ إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - سُفرة فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ماذكر اسم الله عليه .(١)

وروى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( يحشر ذاك أمة وحده بينى وبين عيسى ابن مريم ).(٢)

---

(١) صحيح البخارى .

(٢) البداية والنهاية : ٢/ ٢٦٢ وقال ابن كثير اسناده حسن جيد .

وروى أنه أتى عمر بن الخطاب وسعيدُ بنُ زيد رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : " غفر الله له ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم "(١) .

فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحم عليه واستغفر له ، وله شعر يدل على وحدانيته :

أربٌ واحدٌ أم ألفُ ربٍ
أَدِينُ إذا تُقُسِّمَتْ الأمورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ والْعُزَّىٰ جميعًا
كذلك يَفْعَلُ الجَلِدُ الصَّبُورُ
ولا غَنَما أَدِينُ وكَانَ ربـًّا
لنا فى الدَّهْرِ إذْ حُلْمِي يَسِيْرُ
عَجِبْتُ وَفِي اللَّيَالِي مُعْجِبَاتٌ
وَفِي الأَيَّامِ يَعْرِفُهَا البَصِيْرُ
بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْنَىٰ رِجَـالاً
كَثِيْرًا كانَ شَأْنُهُمُ الْفُجُـورُ

إلى أن قال :

ولكنْ أعبدُ الرحمنَ ربـِّي
ليغفرَ ذنبيَ الربُ الغفـورُ
فتقوىٰ اللَّهِ ربكم احفظوهـا
مَتَىٰ ماتحفظوها لاتبـوروا

---

(١) البداية والنهاية : ٢/ ٢٦٢ وقال ابن كثير اسناده حسن جيد .

ترى الأبرارَ دارَهُم جِنـــــانٌ

وللكفارِ حامِيَـةٌ سَعِـــــيرٌ

وخزيٌ في الحياة وإن يموتـــوا

يُلاقوا ماتضيقُ به الصُـــدُورُ

وقال في قصيدة أخرى :

وأسلمتُ وجهيَ لِمَنْ أَسْلَمَـــتْ

له الأرضُ تحمل صخراً وثقالاً

دحاها فلما استوت شدَّهـــا

سواءً وأرسى عليها الجبَـــالا

وأسلمتُ وجهيَ لِمَنْ أَسْلَمَـــتْ

له المُزن تحملُ عَذْبـًا زُلالاً

إذا هي سيقت إلى بلـــــدةٍ

أطاعت فصبت عليها سجـــالا

وأسلمتُ وجهيَ لمن أسلمـــــتْ

لهُ الريحُ تُصْرَفُ حالاً فحـــالاً

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٢/٢٦٣ وما بعدها .

## خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ الْعَبْسِيُّ

كان فى زمن الفترة وزعم بعضهم أنه كان نبيًّا وليس هذا بصحيح ، قال الحافظ بن كثير - رحمه الله - : " الأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات (١) ورد ابن كثير على الزاعمين بأنه نبى والذين استدلوا بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لابنته " بنت نبى ضَيْعَةِ قومه" وبيَّن مافى طرق هذا الحديثِ من علل .

## أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ

كان فى أول أمره مستقيما وكان على الإيمان ثم زاغ عنه وهو الذى أراده الله تعالى بقوله :((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ)) (٢).

وقيل نزلت فى غيره وكان يطمع فى النبوة ويقرأ الكتب السابقة فلما بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - حسده فلم يؤمن به (٣) وذكر ابن كثير قصة الطويلة له مع أبى سفيان - رضى الله عنه - .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٢/٢٣١ .

(٢) الأعراف : ١٧٥ .

(٣) البداية والنهاية : ٢/٢٤٦ .

ومِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

الحمدُ للَّه مسانا ومصْبَحَنـــــا

بالخيرِ صبَّحَنَا ربي ومَسَّانـا

ربِّ الحنيفيةِ لم تنفد خزائنُهـــا

مملوءة طبقَ الآفاق أشطانـا

ألا نَبِيٌّ لنا منَّا فيُخْبِرَنـــــا

مابعدُ غايتنـا من رأسِ مجرانا

بينا يربينا آباؤنا هَلَكُـــــوا

وبينا نقتفي الأولادَ أبلانـــا

ولقد علمنا لو أنَّ العلمَ يَنْفَعُنَـــا

أَنْ سَوْفَ تَلْحَقُ أُخْرَانا بأُولانا

إلى أن قال :

يارَبِّ لا تجعلني كافرًا أبـــــدًا

واجعل سريرة قلبيَ الدهرَ إيمانا

واخلُط به بُنْيَتي واخلُط به بَشَـــرِي

واللَّحمَ والدَّمَ ماعمَّرْتُ إنسانـــا

إني أعوذ بمن حج الحجيـــجُ لـــه

والرافعون لدين اللَّه أركانـــا

مُسَلِّمين إليه عند حجهـــــــم

لم يبتغوا بثواب الله أثمانـــا (١)

---

(١) بلوغ الأرب للألوسي : ٢/٢٤٥ .

## أَبُو قَيْسٍ صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ

وهو من بنى النَّجار وكان ترهب ولبس المسوح وفارق الأوثان وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ثم دخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا يدخله طامث ولا جُنُبٌ وقال : أعبدُ ربَّ إبراهيم ، فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة أسلم وحسن إسلامه .

ومن شعره فى الجاهلية :

سبحوا الله شرقَ كلِّ صباحِ
طَلَعَتْ شمسُهُ وكُلِّ هِلَالِ
يابنيَّ الأرحامَ لا تقطعوها
وصِلُوها قصيرةً مِنْ طُوالِ
يابنيَّ النُّجومَ لا تظلموها
إن ظُلم النجومِ داءٌ عُضَالِ (١)

(١) بلوغ الأرب للألوسى : ٢/٢٢٦ .

# الفصـــل الرابـــع

# الوثنيـة فى الجزيرة العـربية

الفصل الرابع

## الوثنية فى الجزيرة العربية

لقد وصل انحطاط الفكر الدينى فى العصر الجاهلى عند العرب وغيرهم مستوى لا يحسدون عليه فبعد أن مالوا عن التوحيد الذى جاء به إبراهيم عليه الصلاة والسلام تاهوا بين أفكار كثيرة فقد جاءتهم أفكار فارسية مجوسية وأفكار هندية فتركوا الطريق الحق وساروا فى طرق أخرى متشتتة فأصبح لكل قوم إلٰه ولكل فرد إلٰه كلٌ يعبد ماشاء وما حَسَّنَهُ له شيطانه وهواه حتى إنهم من سفاهة عقولهم كانوا إذا نزلوا منزلاً ٱلتقطوا أربعة حجارة فاختاروا أحسنها إلٰهاً لهم فى منزلهم الذى نزلوه وجعلوا الثلاثة الأخرى أثافى للقدر فإذا نزلوا منزلا آخر فعلوا كما فعلوا سابقا (١) " لهذا كانت عبادة الأصنام منتشرة بينهم انتشارا واسعا وقد صَوَّرُوهـا أو نحتوها رمزا لآلهتهم وقد يرون فى بعض الأحجار والأشجار والآبار مايرمز إليهم (٢) " .

ويكاد يكون جميع العرب عدا المجوس والوثنية يقرون بوجود الله سبحانه وتعالى وأنه هو رازقهم وخالقهم وهو النافع والضار وهو مدبر أمرهم قال تعالى : (( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰه (٣) )) .

---

(١) الأصنام لابن الكلبى ص ٣٣ .

(٢) العصر الجاهلى شوقى ضيف ص ٨٩ .

(٣) سورة لقمان ، آية : ٢٥ .

(( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ))[1] .

(( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ))[2] .

رغم إيمانهم بهذا إلا أنهم عبدوا تلك الأصنام تقربًا بها إلى الله ، قال تعالى حكاية عنهم : (( مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ))[3] .

وذلك لانهم اعتقدوا عظمة الله سبحانه وتعالى فَنَزَّهُوهُ وقالوا :

" ليس لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة ... فعبدناها لتقربنا إلى الله "[4] .

فمنهم من اتخذ الأصنام والأوثان ومنهم من عبد الشمس والقمر والملائكة والجن وغير ذلك .

وسأتعرض فى هذا الفصل -إن شاء الله - لعبادة الأصنام وسأذكر شيئا مما اشتهر منها .

---

(١) سورة الزخرف ، آية : ٨٧ .

(٢) سورة يونس ، آية : ٣١ .

(٣) سورة الزمر ، آية : ٣ .

(٤) بلوغ الأرب محمود شكرى الألوسى/١٩٧ .

## عبادة الأصنام

كثيرا مانسمع عن الأصنام والأوثان والأنصاب فهل هى مسميات لعبادة واحدة فتكون مترادفة المعنى أم أن هناك فرقاً بينها ؟ .

إذا نظرنا إليها من جهة الشعائر والطقوس فتكاد تكون واحدة وما يفعل عن النُّصُب يفعل عند الصنم والوثن كالطواف والذبح وغيره .

فابن الكلبى جعل الأصنام هى الأوثان وميَّزها عن الأنصاب فالأصنام والأوثان عنده كل ماعبد على صورة معينة صورةِ إنسان أوحيوان فقال : " فاذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان ... ومن لم يقدر عليه - أى على بناء الصنم - ولا على بناء بيته نصب حجرا أمام الحرم ... وسمَّوها الأنصاب "(١) . وزاد هذا المعنى تأكيدا فقال : "وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون بها ويَعْتِرُون عندها يسمونها الأنصاب ويسمون الطواف بها الدُّوار "(٢) .

أما د . شوقى ضيف فقد فرق بين الصنم والوثن فقال : " فالصنم يكون غالبا تمثالا أما الوثن فيكون غالبا حجرا "(٣) .

ومن الأصنام مايكون صغيرا يُحمل فى الأسفار والحروب والرحلات

---

(١) الأصنام ص : ٣٣ .

(٢) المرجع السابق ص : ٤٢ . وسيأتى معنى يعترون ص ١٦٦ من هذا البحث .

(٣) العصر الجاهلى د . شوقى ضيف ص : ٩٢ .

ومنها مايكون كبيرا له بيت وسدنه يُزار ويُذبح له " وكان لأهل كل بيت فى مكة صنم فى دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر مايصنع فى منزله أن يتمسح به وإذا قدم من السفر كان أول مايصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا " (١) .

وقد ورد ذكر الأنصاب كثيرا فى الشعر الجاهلى ومن ذلك قول المُثَقِّبِ العبدىّ لعمرو بن هند :

يَطِيْفُ بِنُصْبِهِمْ حُجْنٌ صِغَارُ
فَقَدْ كَادَتْ حَوَاجِبُهُمْ تَشِيْبُ (١)

وقال عمرو بن جابر الحارثى :

حَلَفَتْ غطيفٌ لاتُنَهْنِهُ سِرْبَهَا
وَحَلَفْتُ بالأنصابِ ألا يُرْعِدُوا

وقال عامر بن واثله الليثى :

فإنَّكِ لاتدرينَ أنَّ رُبَّ غارةٍ
كَوِرْدِ القَطَا رَيْعَانُهَا مُتَتَابِعُ
نَصَبْتُ لَهَا وَجْهِي وَوِرْدًا كأنَّهُ
لَهَا نُصُبٌ قَدْ ضَرَّجَتْهُ النَّقَائِعُ

وَوَرَدَ ذِكْرُهاكذلك فى بيت قاله المتلمس يهجو عمرو بن هند قال فيه :

أَطَرَدْتَنِي حَذَرَ الهِجَاءِ ولا .·. واللَّاتِ والأنصابِ لاتَئِلُ (٢)

---

(١) الأصنام ص : ٤٢ . وحجن بضم أوله وسكون الجيم أى صبية .

(٢) الأصنام ص: ١٦، ٤٣ ولا تئل أى لاتنجو .

## أشهر أصنـــام العرب

لا يتيسر لى هنا فى هذا البحث البسيط أن أحصر جميع أصنـــام العرب التى كانوا يعبدونها لكثرتها وطول الحديث عنها ، ولكنى سأذكر ما اشتهر منها مبتعدا قدر الإمكان من بعض الاختلافات التى أثـــيرت حولهـا .

### الـــــــــلات

" اللات بالطائف . . . وكانت صخرة مربعة "[1] وكانت ثقيف مختصـــة بتعظيمه ويعظمه معها جميع العرب ،"وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشـة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنه وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها"[2] .

فنرى أنهم كانوا يضاهؤن به بيت الله الحرام الكعبة، فجعلوا لـــه حرما وبيتا وأستارا وسدنه : " وكانوا إذا قدموا من سفر توجهوا إلـــى بيت اللات أولاً للتقرب إليه وشكره على السلامة ثم يذهبون بعد ذلك الى بيوتهم "[3] .

وقد ورد ذكرها فى كثير من أشعار العرب ، قال عمرو بن الجعيد :

---

(١) الأصنام لابن الكلبى ص : ١٦ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٤/٢٥٣ دار المعرفة بيروت ١٤٠٣هـ.

(٣) المفصل د . جواد على : ٦/٢٢٨ .

وإنِّي وَتَرْكِي وَصْلَ كَأْسٍ لَكَالَّـــــذِي
تَبَرَّأَ مِنْ لاَتٍ وكان يَدِينُهـــــا

وأقسم بها المُتَلَمِّسُ فى هجائه عمرو بن المنذر فقال :

أَطَرَدْتَنِي حَذَرَ الهِجَاءِ ولا
واللَّاتِ والأَنْصَابِ لاَتَئُـــــل

وحلف بها أوس بن حجر فقال :

باللاتِ والعزَّى وَمَنْ دَانَ دِينَها
وباللَّهِ إن اللَّهَ منهنَّ أَكْـــبَرُ

" وكان بيت اللّات فى موضع مسجد بالطائف أو تحت منارة مسجـــد الطائـــف "(١) .

## سبب تسميتهـا :

ذكرت عدة أسباب لتسميتها أكتفى بذكر بعضها بإيجاز :

قيل سميت بهذا الاسم اشتقاقا من اسم الله تعالى ، قال ابن جرير الطبرى - رحمه الله - : " وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالـــوا : اللات، يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً "(٢) وقيل : " إنَّـــه كان رجلا يلتُّ للحجيج فى الجاهلية السويق فلمَّا مات عكفوا على قـــبره

---

(١) المفصل د . جواد على : ٦/٢٢٩ .
(٢) تفسير الطبرى ( محمد بن جرير الطبرى ) : ٢٧/٣٤ .

فعبدوه" حكاه ابن كثير عن ابن عمر ومجاهد والربيع بن أنس،وقيل سمّيَت باللات لأن عمرو بن لحي كان يلت عندها السويق للحجاج" وقيل : إنما اللات كان رجلا من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو بن لحي لم يمت ولكن دخل في الصخرة وأمرهم بعبادتها، وكان شيطان يكلمهم منها فصدّقوه".(١)(٢)

## منـــاة

ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله : (( أفرأيتم اللات والعـــزى ومناة الثالثة الأخرى )) .(٣)

أما مكانه فاختلف فيه وذكرت أماكن متقاربة ، ولكنّ ابن الكلبي ذكر قولا واحد فقال : " وكان منصوبا على ساحل البحر بقُدَيْد بين مكة والمدينة"(٤) أما د . جواد علي فقد أيد ماذهب اليه ابن الكلبي وزاده تحديدا حيث قال : " وموضع مناة بالمشلل على سبعة أميال من المدينة " .(٥)

وكان معبودًا لجميع العرب إلا أن الأوس والخزرج كانوا أخص من غيرهم فكان الأوس والخزرج ومن سار على نهجهم يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤوسهم فإذا نفروا أتوه فحلقوا رؤوسهم عنده وأقاموا عنده،لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك .(٦)

---

(١) تفسير الطبري محمد بن جرير الطبري : ٢٧/ ٣٤ .

(٢) المفصل د . جواد علي : ٦/ ٢٣٠ .

(٣) النجم ، آية : ١٩/ ٢٠

(٤) الأصنام لابن الكلبي : ١٣

(٥) المفصل د . جواد علي : ٦/ ٢٤٦ .

(٦) الأصنام لابن الكلبي ص : ١٤ .

وقيل إن مناة كان لها بيتاً، وقيل غير ذلك ولكن الأكثرين من العلماء يذهبون إلى أنه كان له بيت فقال الطبرى : " إنه كان بيتا بالمُشَلَّل "[1] ، وذهب إلى ذلك ابن حزم الأندلسى فذكر أنه كان بيتا وكان سدنته من الغطاريف من الأزد[2] .

وهذا ما أيده د . جواد على قائلا : " لا يعقل أن يكون هذا الصنم مجرد صخرة أو صنم قائم فى العراء تعبث به الرياح والشمس، ثم إن له سدنة ولا يعقل أن تكون لصنم سدنة ثم لا يكون له بيت يؤويه "[3] .

ثم حصل اختلاف فى هيئته هل هو صخرة أو صنم له هيئة معينة فمنهم من قال إنه صخرة كانت تراق عليها دماء الذبائح المهداة، ومنهم من قال إن هذه الصخرة كانت بجانب الصنم تذبح عليها الذبائح المهداة للصنم وأرى أن هذا الاختلاف غير مجدى ولا داعى للتوسع فيه ومما يدل على إعظام العرب جميعا له أنهم سَمَّوا باسمه فقالوا عبد مناة ، وزيد مناة وأوس مناة ، وقيس مناة ، وكان هدمه سنة ثمانى للهجرة. قال ابن الكلبى: " فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس بعث علياً إليها فهدمها[4] .

---

(١) تفسير الطبرى : ٢٧/ ٣٥ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ابن حزم الأندلسى ص : ٤٩٢ . دار الكتب العلمية ط ١ سنة ١٤٠٣هـ.

(٣) المفصل جواد على : ٦/ ٢٤٧ .

(٤) الأصنام لابن الكلبى : ١٥

## العـــــــزّى

" والعزى صنم أنثى "[1] .

وكان الذى اتخذها ظالم بن أسعد ... وكانت أعظم الأصنام عنـد قريش وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبائح[2] ، وكانت بـــوَادٍ من نخلة الشامية يقال له: حُراض بازاء الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق إلى البيستان بتسعة أميال"[3] .

ومضاهاة بحرم البيت جعلت قريش حرما للعزى من وادى حـــــراض يقال له سُقام ذكره أبو جندب الهذلي فى امرأة كان يهواها فذكر حَلفها له بهـا :

لقد حَلَفَتْ جَهدًا يمينًا غليظة
بفرع التى أحمت فُروعُ سُقامِ
لَئِنْ أَنْتَ لَمْ تُرْسِلْ ثِيَابِي فانْطَلِقْ
أُبادِيك أُخرىٰ عيشِنَا بكلامِ
يَعِزُّ عليه مِنْ صَرْمٍ أُمَّ حويـــــــرثٍ
فأسى يرومُ الأمرَ كُلَّ مَرامِ

---

(١) المفصل د . جواد على : ٦/٢٣٥ .
(٢) الأصنام لابن الكلبى : ١٨ .
(٣) المصدر السابق .

ويقول درهم بن زيد الأوسي :

إني ورب العزى السعيـــــدة

واللهِ الذي دون بيته سَـــرِفُ

وكانت قريش تسمى العزى واللات ومناة بنات الله يشفعن إليه فقـال تعالى : (( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ والعزَّىَ ومناةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَـــهُ الأُنْثَى تِلْكَ إذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ، إِنْ هِيَ إلا أسماءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُـــم ما أَنزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلطَانٍ )) (١) .

وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول :

واللات والعـــــــزى

ومناة الثالثة الأخـــرى

فإنَّهُنَّ الغَرانيقُ العُلى

وإن شفاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ (٢)

وكانت تعبدها العرب جميعا إلا أن قريشاً أخص من غيرها فى ذلك، وكان سدنة العزى بنو شيبان بن جابر بن مرة من بنى سليم (٣) .

وقد ورد اسمها فى أشعار الجاهليين وقد أوردتُ سابقا قصيدة زيـــد ابن عمرو بن نفيل - رحمه الله - التي يقول فى مطلعها :

---

(١) سورة النجم ، آية : ١٩ وما بعدها .

(٢) الأصنام لابن الكلبى : ١٩ .

(٣) المرجع السابق : ٢٢ .

تَرَكْتُ اللَّاتَ والعُزَّى جَمِيعًا
كَذَلِكَ يَفْعَلُ الجَلِدُ الصَّبُورُ

وكان لها مَنْحَرٌ ينحرون فيه هداياهم يقال له الغبغب ، وقد ورد ذكره فى أشعار العرب منها قول أبى خِراش خويلد بنِ مرة الهذلى يهجو رجلاً تزوج امرأة جميلة يقال لها أسماء :

لقد أنكحتِ أسماءُ لَحَىْ بُقَيْرَةٍ
مِنَ الأُدم أهداها امرؤ مِنْ بنى غنم
رأى قَذَعًا فى عينها إذ يسوقُها
إلى غُبْغَبِ العزَّى فوضَّعَ فى القسم (١)

ويقول نهيكة الغزارى لعامر بن الطفيل :

ياعامِ لو قَدَرَتْ عَلَيْكَ رِماحُنَا
والراقصاتُ إلى مِنًى فالغبغبِ
لَتَقَيْتَ بالوجعاءِ طعنة فاتكٍ
مَرَّانَ أو لَثَوَيْتَ غير مُحَسَّبِ

أما هيئة العزى وشكلها فقد ورد فيها قولان أولهما أنها عبارة عن ثلاث شجرات سمر قاله ابن كثير فى تفسيره (٢) وهو ماذهب اليه د . جواد على حيث قال : " إنها ثلاث سمرات لها حمى " (٣) ، أما ابن جرير الطبرى

---

(١) الأصنام لابن الكلبى ص : ٢٠ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٤/ ٢٥٣ .
(٣) المفصل د . جواد على : ٦/ ٢٣٦ .

فذكر أنها عبارة عن حجر أبيض.[1] وإنى أُرَجِّح القول الأول لما رواه النسائى وابن مردويه عن أبى الطفيل قال : " لما فتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذى كان عليها ثم أتى النبى - صلى الله عليه وسلم - فأخبره فقال ارجع فانك لم تصنع شيئا فرجع خالد فلما أبصرته السدنه وهم حجبتها أمعنوا فى الحيل وهم يقولون : ياعزى ياعزى فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها ففمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره ، فقال :" تلك العزى "[2] .

## إساف ونائلة

إنه بات من المشهور أن إسافا كان رجلا من جرهم يقال له إساف ابن يعلى وأن نائلة امرأة من جرهم كذلك يقال لها نائلة بنت زيد وقد قيل فى أسمائهما غير ذلك . وقد جاءا حاجَّيْن إلى الكعبة من اليمن وكان يعشقها ، ففجر بها فى جوف الكعبة فمسخهما الله حجرين وقد أوردتُ القصة بلفظها قبل هذا ولكن د . جواد على يقول : " يظهر أنهما استُوْرِدا من

---

(١) تفسير الطبرى : ٣٥/٢٧ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٢٥٤/٤ . وروح المعانى للالوسى : ٥٥/٢٧ . ورواه الأزرقى فى أخبار مكة : ١٢٧/١ . بسنده عن سعيد بن عمر الهذلى .

بلاد الشام فتولد من كونهما صنمين لرجل وامرأة هذا القَصَصُ المذكور.(١)

وقد ورد اسمهما فى الشعر الجاهلى فروى عن أبى طالب أنه حلف بهما فقال :

أحضرتُ عند البيتِ رهطى ومعشرى
وأمسكت من أثوابه بالوصائلِ
وحيث يَنِخُّ الأشعرون ركابَهم
لِمَفْضِىِّ السيولِ من إساف ونائلِ

وورد اسم إساف فى شعر ينسب إلى بشر بن أبى خازم الأسدى يقول فيه :

عليه الطيرُ مايدنون منه
مُقاماتِ العوارك من إساف

أما موضعهما ففيه اختلاف كثير بين المؤرخين فمن قائل أنهما كانا على الصفا والمروه ومن قائل أنهما كانا على جانبى البيت فيطوف الناس بالبيت وبهما جميعا وقيل غير ذلك .

وقد يكونا قد وضعا فترة على الصفا والمروه وفترة على جانب البيت أو غير ذلك .

* وكانت قريش خاصة تعظم ذينك الصنمين وتتقرب إليهما وتذبح

---

(١) المفصل د . جواد على : ٦/٢٦٧ .

عندهما وتسعى بينهما أما القبائل الأخرى فلم تكن تقدسها .

ومن هنا لم يكن الطواف بهما من مناسك حج تلك القبائل "[1] .

## ذو الخلصـــــة

الخلصة يقال بأنه اسم البيت الذى كان فيه الصنم وكان بداخلـــه صنم عبارة عن "[2] مروة بيضاء منقوشة ، عليها كهيئة التاج وكانت بتبالـــه " وكانت تُعَظِّمُها خثعم وبجيلة وأزد السراه ومن قاربهم من بطون العـــرب من هوازن[3] .

وكانوا يُعظِّمونه ويقسمون به ويتحالفون عنده وقد ورد ذكره فـــــى أحاديث صحيحه سأذكرها فيما بعد ، وورد ذكره كذلك فى أشعارهم ومن ذلك قول خداش بن زهير العامرى لعَشْعَثِ بْنِ وحشي الخثعمى فى عهـــد كان بينهم فغدر به :

وَذَكَّرْتُهُ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَـــــــهُ
وَمَا بَيْنَنَا مِنْ مُدَةٍ لَوْ تَذَكَّـــرَا
بِالمروةِ البيضاءِ يومَ تُبالـــــةَ
وَمَحْبَسةِ النُّعمانِ يوم تَنَصَّرا

---

(١) المفصل د . جواد على ٦ / ٢٦٧ .

(٢) الأصنام لابن الكلبى :ص ٣٤ . تبالة : قال ياقوت :موضع بيلاد اليمن بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخا نحو مسيرة ثمانية أيام وبينها وبين الطائف ستة أيام وبينها وبين بيشة يوم واحد .معجم البلدان : ٢ / ٩ .

(٣) الأصنام لابن الكلبى :ص ٣٥ . وأزد السراه هم قبائل غامد وزهران .

وقد ورد ذكره فى عدة أحاديث وردت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد روى البخارى وسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذى الخلصة ، وذو الخلصة طاغية دوس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية )(١) . وورد اسمه كذلك فى الحديث الذى رواه البخارى عن جرير بن عبدالله البجلى - رضى الله عنه - قال : قال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟ فقلت : بلى ، فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحْمَس ... وكان ذو الخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة فيه نُصُبٌ يعبد يقال له الكعبه "(٢).

ففى الحديث الأول أن ذا الخلصة كان لدوس وفى الحديث الثانى أنه كان لخثعم وبجيلة وظاهر الحديثين يفيد التعارض مما دفع الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - أن يقول إنه كان هناك صنمان بهذا الاسم أحدهما لدوس والآخر لخثعم قال - رحمه الله - : والذى يظهر لي أنه غير المراد فى حديث الباب وإن كان السهيلى يشير إلى اتحادهما

---

(١) رواه البخارى فى الفتن ٢٣ باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان ورواه مسلم برقم (٢٩٠٦) باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

(٢) رواه البخارى فى كتاب المغازى باب ٦٢ غزوة ذى الخلصة : ١١٢/٥ .

لأن دوسا قبيلة أبي هريرة وهم ينتسبون إلى دوس بن عدثان - بالثاء المثلثة - ابن عبدالله بن زهران ينتهي نسبهم إلى الأزد فبينهم وبين خثعم تباين في النسب والبلد "(١) .

ولكن كلام ابن الكلبي السابق الذي يقول فيه : " وكانت تعظمها خثعم وبجيلة وأزد السراه " إن صح فلا خلاف إذن ، لأنه لا مانع من أن يعبد أقوام متباعدون في السكن صنماً واحداً .

وأثبت ذلك ابن هشام حيث قال : وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة "(٢) .

وعندما رجعت إلى تحقيق مواطن تلك القبائل تبين لي أنه لا يوجد تعارض بين الأحاديث وذلك لأن تلك القبائل - خثعم وبجيلة ودوس - كانت تسكن في مكان واحد متقاربة وتعبد صنما واحدا .

وأعتقد أن الذي دفع الحافظ بن حجر - رحمه الله - لأن يقول قوله هذا هو أنه ظن أن مساكن خثعم بعيدة عن مساكن بجيلة ودوس .

أقول: إن مساكنهم تباعدت أخيرا وذلك بعد نزول أزد شنوءة - غامد وزهران وغيرهما - منطقة السراه وطردهم لخثعم وتفرق خثعم ، فديار

---

(١) فتح الباري : ٨/٧١ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ١/٨٦ . تحقيق د. مصطفى السقا وزملائه .

خثعم الآن ليست هى ديارهم سابقا ، قال عمر رضا كحالة : " خثعم ابن أنمار ... كانت منازلهم ببلاد السراه وما والاها ... حتى مرت بهم الأزد فى مسيرها من أرض سبأ ... فقاتلوهم فأنزلوهم من جبالهم وأجلوهم عن منازلهم ونزلتها غامد وبارق ودوس"(١) .

إذاً نفهم من هذا أن منازل خثعم كانت قريبة من منازل دوس الآن ومنازل بجيلة مازالت كما هى أعلى عقبة تِهامة من جهة تُرْبَة مجاورة تماما لبلاد دوس .

وهى من منازل قبيلة بنى مالك ويؤيد ذلك ماقاله كحالة: " ومن أوديتهم عرادات"(٢) وقال عنه : " وادٍ لبنى بجيلة ... أعلاه عقبة تهامه وأسفله تُرْبَة" إذاً لاتعارض بين الأحاديث ، فهو إنما كان صنما واحدا اشتركت فى عبادته عدة قبائل . سواء تباعدوا فى النسب والبلد أو تقاربوا فقد ثبت أن عبدت قبائل من جميع أنحاء الجزيرة أصناما كانت بمكة والمدينة . ولا أستطيع أن أنفى ماذهب اليه ابن حجر ولكن هذا ماتطمئن إليه نفسى - والله أعلم -.

## هُبَـــل

أما صنم هبل فكان من أعظم أصنام مكة وكان فى جوف الكعبة ، قال ابن الكلبى : " وكان أعظمها عندهم هبل وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركَتْـه قريش كذلك فجعلـوا

---

(١) معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة : ١/ ٣٣١ . مؤسسة الرسالة ط ٣ سنة ١٤٠٢هـ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٣١ الهامش رقم : ١ .

له يدا من ذهب "[1] .

وقال ابن الكلبى " كان أول من نصبه خزيمة بن مدركه بن اليأس بن مضر[2] وكانوا يقدمون له الهدايا والذبائح والنذور وكان تحته بئر يوضع فيه كل ذلك .

وكانوا يستقسمون عنده بالقداح ومشهورة قصة عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف جد النبى - صلى الله عليه وسلم - عندما ضرب عنده القداح على ابنه عبدالله ، وكانت تلك القداح " مكتوب فى أولها صريح والآخر ملصق فاذا شكّوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح فإن خرج صريح ألحقوه وإن خرج ملصق دفعوه وقدح على الميت وقدح على النكاح فاذا اختلفوا فى أمر أتوه فاستقسموا بالقداح عنده فما خرج عملوا به وانتهوا اليه[3] .

وكانوا يفتخرون به فيعتبرونه إلها لهم وقد اشتهر قول أبى سفيان ابن حرب يوم أحد ، حين قال : أُعْلُ هبل . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللّٰهُ أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم فقال المسلمون : الله مولانا ولا مولى لكم[4] .

---

(١) الأصنام لابن الكلبى : ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص : ٢٨ .

(٣) المرجع السابق ص : ٢٨ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٤/ ٢٥٣ .

# ذو الكُفَّيْـــــن

هو بفتح الكاف وكسر الفاء هكذا ضبطه الحافظ بن حجر.(١)

" وكان لدوس ثم لبنى منهب بن دوس" .(٢)

أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطُفَيْلَ بن عمرو الدوســـى(٣) إليه فَحَرَّقَهُ بالنار وهو يقول :

ياذا الكُفَيْن لست فى عبادكا

ميلادنا أكبر من ميلادكـــــا

إنّى حشوت النار فى فؤادكا

---

(١) فتح البارى : ٨/١٠١ . وضبطه بعضهم بفتح الكاف وتشديد الفاء ومثنى كف .

(٢) الأصنام لابن الكلبى : ٣٧ .

(٣) كان يلقب ذا النور وكان صحابيا سيدا مطاعا من أشراف العـــرب لقب بلقبه هذا لأنه قال: يارسول الله إن دوسا قد غلب عليهم الزنا والربا فادع عليهم فقال : ( اللهم اهد دوسا ) ثم قال يارســول الله :ابعث بى إليهم واجعل لى آية فقال اللهم نَوِّرْ له . وطلـــب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد فتح مكة أن يرسلـــه ليحرِّق ذا الكفين فأرسله ، قال فجعلت أوقد عليه النار .

سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبى : ١/٣٤٥ وما بعدها بتصـــرف تحقيق حسين الأسد مؤسسة الرسالة ط ٢ سنة ١٤٠٢هـ.

## رئـــام

وكان من معبودات أهل اليمن فى عصر الدولة الحميرية وكان بصنعاء وكانوا يعظمونه ويتقربون إليه بالذبائح" وكانوا فيما يذكرون يُكَلَّمُوْنَ منه"[1] .

وكان رئام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويُكَلَّمُوْنَ فيه إذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيتا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه كلبا أسود فذبحاه ثم هدما البيت"[2] .

ولا تخلو هذه القصة - فى نظرى - من الخيال والأساطير فلا مانع من كونهم يُكَلَّمون منه فقد ثبت ذلك فى عدة أصنام أما استخراج الكلب الأسود فهى أسطورة من أساطير أهل اليمن .

## ودّ

وهو أحد الأصنام التى ذكرها الله تعالى فى القرآن الكريم مشيرا إلى أنها من أصنام قوم نوح قال تعالى : (( وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ))[3] .

وهذه الأصنام خارجة عن العصر الجاهلى الذى سبق أن حددته

---

(١) الأصنام لابن الكلبى : ص ١٢ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ٢/١٨٣ .

(٣) سورة نوح ، آية : ٢٣ .

من قبل إلا أن هناك روايات تفيد أنها عبدت فى العصر الجاهلى السابق مباشرة للإسلام فكان لابد من إدخالها فى زمرة أصنام العرب فى الجاهلية ويروى أن الطوفان احتملها وألقى بها على شاطىء بحر جدة فجاء الشيطان لعمرو بن لحى ووسوس له بأن يأخذها وينصبها لتعبدها العرب فكـــان ذلك من عمرو بن لحى الذى أعطاها لاحياء العرب .

أما صنم وَدَّ فكان الذى أخذه عوف بن عذره بن زيد اللات استجابة لعمرو بن لحى الخزاعى ووضعه بدومة الجندل (١) وكان تمثال رجل كأعظم مايكون من الرجال قد ذبر عليه حلتان متزربحلة مرتد بأخرى عليه سيف (٢) قد تقلده (٣) وقد تنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل .

واستنتج ياقوت الحموى من كون جد واضع الصنم اسمه زيد اللات أن صنم اللات سابق لصنم ود (٤) .

وفى غزوة تبوك أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بـــن الوليد ليهدمه فحالت بنو عبد ود وبنو عامر الأجدار بينه وبين هدمـــه فقاتلهم وهدمه وكان فيمن قتل يومئذ رجل من بنى عبد ود يقال له قطن

---

(١) دومة الجندل : سميت بدوم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم ونسبت للجندل لأن حصنها مبنى بالجندل قال السكونى هى حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلى طىء ، معجم البلدان : ٢/٤٨٧ .

(٢) وفضه أى جعبة . وذبر : أى نقش

(٣) الأصنام : ٥٦ .

(٤) معجم البلدان مادة ود

ابن شريح فأقبلت أُمُّهُ فرأته مقتولاً فقالت :

أَلا تِلْكَ المَوَدَةُ لا تَـــدُومُ

وَلا يَبْقَىٰ عَلَىٰ الدَّهْرِ النَّعِيمُ

ولا يبقى على الحَدْثَانِ غُفْـرٌ

له أُمٌّ بشاهِقَةٍ رَؤُومُ

وقالت كذلك :

ياجامعاً جامعَ الأحشاءِ والكبدِ

ياليتَ أُمَّكَ لم تُولَدْ وَلَمْ تَلِدِ

ثم أكبت عليه فشهقت شهقة فماتت .(١)

## نهـــــــــم

وكان لمزينه وسادنه منهم يسمى خُزَاعى بن عبد نهم ولما سمـــــع السادن بالنبى - صلى الله عليه وسلم - كسر الصنم وأسلم وقال :

ذهبتُ إلىٰ نَهْمٍ لأَذْبَحَ عنـدهُ

عتيرةَ نُسْكٍ كالذي كُنْتُ أَفْعَلُ(٢)

فَقُلْتُ لِنَفْسِي حين راجَعَتْ عَقْلَهَا

أهذا إلهٌ أَبْكَمٌ ليس يَعْقِـــلُ

أَبَيْتُ فَدِيْنِي اليومَ دينُ محمـــدٍ

إلهُ السماءِ الماجدُ المتفضـــلُ

---

(١) الأصنام : ٥٦ .

(٢) العتيرة : هى ذبائحهم لأصنامهم وتذبح فى رجب قيل كانوا ينذرونها لمن بلغ مالة عددًا معينا أن يذبح من كل عشرة منها رأسا للأصنام ويصب دمائها على رأســـها .تفسير غريب الحديث ابن حجر ص ١٥٩ دار المعرفة بيروت .

ويذكره كذلك أمية بن الأسكر :

إذا لَقِيَتَ راعِيَيْنِ فى غَـــنَمٍ
أَسَيْدَيْنِ يَحْلِفَانْ بِنَهَـــمْ
بينهم أشلاءُ لحمٍ مُقْتَسَـــمْ
فامضِ ولا يأخُذْكَ باللَّحمِ القَرَمْ (١)

## ضـــــــار

وكان صنما لعباس بن مرداس - رضى الله عنه - حرَّقه بعد إسلامـــه ولحق بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وقال شعراً ذكره فيه ، منه قوله :

لعمرى إنّى يوم أجعلُ جاهـداً
ضماراً لربِ العالمين مشارِكا
وتركي رسولَ اللهِ والأوسُ حولَـهُ
أولئكَ أنصارٌ لَهُ ما أُولئِكَـا
كتاركِ سَهلِ الأرضِ والحُزْنَ يبتغى
ليسلك فى غيبِ الأمورِ مسالكا (٢)

## الصُّعَـــــــير (٣)

وهو صنم لعنزة خاصة روى أن أبا خلاس الكلبى خرج على ناقتـــه

---

(١) الأصنام ص : ٣٩ .

(٢) الأغانى للأصفهانى : ١٤/١٨٧ .

(٣) روى بصيغة التصغير أى بضم السين وفتح العين وروى بفتح السين

فمرت به فنفرت لعتائر عنده فقال :

نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ عَتَائِرَ صُرِّعَتْ
حَوْلَ السُّعَيْرِ يزوره ابنا يَقْدُمٍ
وجموع يَذْكُرَ مُهْطِعِيْنَ جَنابَـــهُ
ما إنْ يحِيرُ إليهمْ بتكلُّـــــمِ (١)

---

= وكسر العين على وزن أمير،الأصنام ٤١ .

(١) الأصنـــام : ص ٤١ .

الفصل الخامس :

ديانات متفرقة .

وفيه مباحث :

- المبحث الأول : الدهريون
- المبحث الثاني : عباد الشمس
- المبحث الثالث : عباد القمر
- المبحث الرابع : عباد الكواكب
- المبحث الخامس : الملائكة
- المبحث السادس: الجن
- المبحث السابع : المجوسية
- المبحث الثامن : الزنادقة
- المبحث التاسع : الصابئة

## المبحث الأول

## الدهريـــــــون

والدهريون نسبة إلى الدهر وهم لا يفهمون معنى الدهر أنه هـــو الله الخالق البارئ المحيي المميت بل يقصدون به الزمان فهم ينسبـــون إلى الدهر كل شيء من الأفعال والصفات حتى أنهم نسبوا له كـــل ماأثبت لربنا تبارك وتعالى من صفات الكمال والتنزيه التي جاءت في كتابـه أو أخبرنا بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

وهم فرقتان فرقة قالت : " إن الخالق سبحانه خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة ، دارت عليه فأحرقته ولم يقدر على ضبطها وإمساكها " والفرقـــة الثانية قالت قولاً أسفه من هذا وهو : " أن الأشياء ليس لها أول ألبته وإنما تخرج من القوة إلى الفعل فإذا خرج ماكان بالقوة إلى الفعـــل تكونت الأشياء مركباتها وبسائطها من ذاتها لا من شيء آخر "(١) وقالوا ان العالم لم يزل ولا يزال لا يتغير ولا يضمحل ولا يجوز أن يكون المبـــدع يفعل فعلا يبطل ويضمحل إلا وهو يبطل ويضمحل مع فعله وهذا العالـم هو الممسك لهذه الأجزاء التي فيه .

وقد تعرض لهم الشهرستاني فقال : وهم قوم أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا : الطبع المحيي والدهر المفني ، وهم الذين أخبر عنهم

---

(١) بلوغ الارب للألوسي : ٢/ ٢٢٠ .

القرآن الكريم بقوله : (( وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ "[1] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ... أي ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة ... وهذا يقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقوله الفلاسفة المنكرون للصانع المعتقدون أنَّ في كل ستةٍ وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ماكان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لاتتناهى "[2].

---

(١) سورة الجاثية ، آية : ٢٤ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٤/ ١٥١ .

البحث الثانى

## عبـــادة الشمـــس

والشمس كوكب كبقية الكواكب إلا أن كبر حجمها وقوة نورها جعلـــت العرب يُفردونها بالعبادة وكذلك القمر .

" وهى إلٰهة عند العرب تَعَبَّدَتْ لها قبائل عديدة "[1] .

و " زعموا أنها مَلَكٌ من الملائكة لها نفس وعقل "[2] .

ولها شريعة خاصة يتعبدونها عليها فَيُصَلُّون لها ويقربون لهـــا القرابين ويكون ذلك فى معبد بنوه فيه " إلٰه صنم بيده جوهر على لـــون النار وله بيت خاص قد بنوه باسمه ... وله سدنة وقُوَّامٌ وحَجَبَة، يأتـــون البيت ويصلُّون فيه لها ثلاث كرات فى اليوم ... وتكون صلاتهم عنـــد طلوعها وتوسطها كبد السماء وعند غروبها "[3].

البحث الثالث

## عبـــادة القمـــر

وهم يرون أنه مدبِّر العالم السفلى " ومن شريعة عبادتهم أنهـــم اتخذوا له صنماً على شكل عجل وبيد الصنم جوهر يعبدونه ويسجدون لـــه ويصومون له أياما معلومة من كل شهر ثم يأتون إليه بالطعام والشرب والفرح

---

(١) المفصل د . جواد على : ٦/٢٩١ .
(٢) بلوغ الأرب للألوسى : ٢/٢١٥ .
(٣) المرجع السابق ص ٢١٥ بتصرف .

والسرور فإذا فرغوا من الأكل أخذوا فى الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه .[1]

## المبحث الرابع

## عبادة الكواكب

وقد عبد بعضهم الكواكب مثل كوكب الدُّبْرَانْ والشِّعْرَى العَبُوْر الذى عبدته بعض طوائف من قريش " وأول من سن ذلك لهم أبو كبشة وهو جزء بن غالب جد وهب بن عبد مناف أبو آمنة أمّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما بُعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وخالف قريش وغيرهم من العرب فى عبادة الأوثان كانوا يسمونه ابن أبى كبشه ، لأن جده أبا كبشة خالفهم فى عبادتهم[2] ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالفهم وخالفه .

## المبحث الخامس

## عبادة الملائكة

وقد ثبت أن طائفة من العرب عبدوا الملائكة قال الله تعالى فيهم : ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا ثُمَّ يَقُوْلُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ قَالُوْا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُوْنِهِمْ بَلْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُوْنَ ))[3] .

---

(١) المرجع السابق ص : ٢١٥ بتصرف .

(٢) بلوغ الأرب الألوسى : ٢٣٩/٢ بتصرف .

(٣) سورة سبأ ، آية : ٤٠ ، ٤١ .

وظنّ العرب أنهم بعبادتهم الملائكة وتصويرهم لهم الصور أنهم يتقربون إلى الله بذلك ولكن الملائكة ينكرون ذلك يوم القيامة يوم يحشر الله الجميع فيقول للملائكة (( أَهَٰٓؤُلَآءِ كَانُوٓاْ إِيَّاكُمْ يَعْبُدُونَ )) والله أعلم بالجواب فيجيب الملائكة بقولهم (( سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ )) .

قال ابن الجوزى (( وهذا استفهام تقرير للعابدين فنزهت الملائكة ربها عن الشرك فقالوا سبحانك أى تنزيهاً لك مما أضافوه إليك من الشركاء (١) .

---

(١) زاد المسير ابن الجوزى : ٦/ ٤٦٣ .

## المبحث السادس

## عبادة الجـــن

لم يفترِ الملائكة عندما قالوا : " بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ " لأنهـــم لا يقولون إلا الحق ، فمن العرب من عبد الجـن واستهوتها قال تعالـــى عنهم : (( وأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا )) (١) وقال تعالى : (( وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا )) (٢) ولكن هذه الطائفة كانت قليلة متفرقة فى البوادي .

وتحدث بعض المؤرخين عن عبادات أخرى كانت منتشرة فى تلـــك الفترة إلا أنهم لم يبينوا ما إذا كانت منتشرة بين العرب فى الجزيـــرة العربية أم لا وقد ثبت أنها كانت منتشرة بين عرب العراق خاصة، وذلـك لقربهم من الفرس ولاتصالهم التجارى بالهند التى هى منبع الديانات والملل، ولا أستبعد أن تكون بعض هذه الديانات قد وجدت فى منطقة شرقـــى الجزيرة العربية، وذلك لسببين لهما اعتبار فى نظرى، أولهما : الصلة الوثيقـة لأهل تلك المنطقة ببلاد فارس عبر الخليج العربى وكذلك بالعراق . ثانيهما غنى تلك المنطقة فى ذلك الوقت مما يجعلها محط رحال لكل التجار .

---

(١) سورة الجن ، آية : ٦

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٢٨ .

## المبحث السابع

## المجوسيـــــــة

هى ديانة الفرس العظمى وتشتمل على ديانات أخرى تنطوى تحتهـــا كالثنوية الزنادقة الذين سأتحدث عنهم فيما بعد -إن شاء الله تعالى - :

وقد ورد ذكر المجوسية فى أحاديث لرسول الله - صلى الله عليه وسلـــم - منها قوله : ( كُلُّ مولودٍ يُولدُ علىٰ الفطرةِ فأبواهُ يُهوِّدانه أو يُنصِّرانـــــه أو يمجِّسَانه )(١) . وقال -صلى الله عليه وسلم : ( إن مجوس هذه الأمـــة المكذبون بأقدار الله )(٢) .

وهى لفظة مُعَرَّبة(٣) عن لفظة مغوس الفارسية التى تعنى عابد النـــار ويريد الإخباريون بها عبادة النار ، وارتبط اسم زراد شت ارتباطا وثيقـا بالمجوسية فهو يعتبر من المصلحين الذين حاولوا إصلاح عقيدة الناس فى الإله " وخلاصة ماجاء به زرادشت أنه أنكر الوثنية وجعل الخير المحـض من صفات الله ونزل بإلٰه الشر إلى مادون منزلة المساواة بينة وبين الإلـه الأعلى وبشر بالثواب وأنذر بالعقاب . . . وحاول جهده أن يقصر الربانيـة على إلٰه واحد موصوف بأرفع مايفهمه أبناء زمانه من صفات التنزيه(٤) .

---

(١) حديث صحيح . رواه البخارى فى تفسير سورة الروم ٦/ ٢٠ .

(٢) أخرجه أحمد : ٥/ ٤٠٦ ، ٤٠٧ وأبو داود برقم ( ٤٦٩٢ ) وفيه ضعـف ويتقوى بالشواهد .

(٣) لسان العرب : ٨/ ٩٨ .

(٤) الله عباس محمود العقاد ص ٩٣ دار المعارف بمصر ،ط٢ ، ١٩٦٠ .

ولا يفهم من هذا أن المجوسية كلها من تعاليم زرادشت أو تعليم كاهن واحد من كهان الأمة الفارسية فالمجوسية عقيدة الفرس قبل مجيء زرادشت ولهم عقائد فى الإلٰه وفى أصل الوجود حاول هو تطهيرها .

ومن عقائدهم فى الإلٰه " أن هرمز - إله الخير - خلق الدنيا فى ستة أدوار فبدأ بخلق السماء ثم خلق الماء ثم خلق الأرض ثم خلق النباتات ثم خلق الحيوان ثم خلق الإنسان "(١) .

وهم يعتقدون أن أصل الإنسان رجل يسمى كيومرث قتل فى فتنة الخير والشر فنبت من دمه ذكر يسمى ميشة وأنثى تسمى ميشانة فتزوجا وتناسلا وساغ من أجل ذلك عندهم زواج الأخوين(٢) .

ولهم كذلك عقائد باطلة فى الإلٰه والجزاء وقد تمجس بعض العرب ويعود ذلك إلى مجاورتهم الفرس سواءً فى البحرين والساحل الشرقى للجزيرة أو شمالها القريب من العراق وكذلك حكم الفرس بلاد اليمن فى الفترة السابقة مباشرة للإسلام .

يقول د . جواد على : " وقد كان المهيمن على اليمن الفرس عند ظهور الإسلام حيث طردوا الأحباش وأخذوا محلهم وقد كان هؤلاء الفرس على المجوسية(٣) .

---

(١) الله ،عباس محمود العقاد ص : ٩٧ .

(٢) المرجع السابق بتصرف .

(٣) المفصل د . جواد على : ٦/٦٩١ .

ووجدوا كذلك فى حضر موت وعُمَان ويرجع ذلك إلى كونهم من متخلفى التجار الذين طابت لهم الإقامة.

وأما مجوس البحرين فقد كانوا أكثر عددا وأكبر نفوذا من إخوانهم فى عمان لقرب هذه الأرضين من امبراطورية الساسانيين ... ومن طريق الأبله الساحلى (١).

وكان باليمامة قوم من المجوس عاشوا فى قراها ومواضعها اشتغلوا بالزراعة وبالتعدين (٢).

---

(١) المفصل د. جواد على ٦/٦٩٢.

(٢) المرجع السابق: ٦/٦٩٣.

## المبحث الثامـــن

## الزنادقـــــــة

وهم الثنويه أتباع مزدك القائل بإلٰهين إله للخير وإله للشر أو إلـه للنور وهو علوى وإله للظلمة وهو سفلى .

قال الفيروز أبادى : " الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنـور والظلمة " ، (١) وهو فى الأصل منسوب إلى " زند " اسم كتاب أظهره " مزدك " فى أيام " قباذ " (٢) والزندقة بدأت كما عرفنا فى بلاد الفرس ثم انتقلـت إلى بعض القبائل العربية عن طريق الحيرة " والذى يظهر لى أن مراد ابن قتيبة من الزندقة التى نسبها إلى بعض العرب . . .وأخذوها من الحيرة " (٣) .

ولهم عقائد منكرة وأقوال سخيفة ساقطة من ذلك قولهم الصانـــع اثنان ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولـــن يزالا قويين حاسين مدركين سميعين بصيرين وهما مختلفان فى النفـــس والصورة ، متضادان فى الفعل والتدبير ، فالنور فاضل حسن نقى، طيـــب الريح ،حسن المنظر،ونفسه خيرة كريمة . . . والظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسها نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنـــة مضرة منها الشر والفساد (٤) .

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادى : ٣/ ٢٥٠ المكتبة التجارية الكبرى مصر ط٤ .
(٢) بلوغ الارب للألوسى : ٢/ ٢٢٣ .
(٣) المرجع السابق ص : ٢/ ٢٢٩ .
(٤) بلوغ الارب للألوسى : ٢/ ٢٢٩ .

واذا كانت الظلمة كذلك وعلى هذا الحال الردىء فلماذا عبدوها واعتبروها إلٰهاً مع النور ؟ أليس هذا من سخف العقول ؟ فيسقولون نعبدها خوفا منها كى نتقى شرها ، ولماذا لا يدافع عنهم إلٰههم الخيِّر؟ إن كلامهم هذا أقرب إلى الهذيان والجنون منه الى التعقل والحكمة .

ومن اعتقاداتهم الباطلة كذلك فى النور والظلمة أن النور يولد ملائكة والظلمة تولد شياطين وأن النور لا يقدر على الشر ولا يأتى منه وأن الظلمة لا تقدر على الخير ولا يأتى منها .

ومن شريعتهم ألا يدَّخروا إلا قوت يوم وتجنب الكذب والبخل والسحر وعبادة الأوثان والزنى والسرقة .(١)

ولهم قول أسخف مما قالوه سابقا ألا وهو : أن البارى سبحانه لما طالت وحدته استوحش ففكر فكرة سوء فتجسمت فكرته فاستحالت ظلمة فحدث منها إبليس فرام البارى إبعاده عن نفسه فلم يستطع فتحرز منه بخلق الجنود والخيرات فشرع إبليس فى خلق الشر !! (٢) وهذا قول واضح الفساد والبطلان تعالى الله عما يقولون علوًا كبيراً .

---

(١) بلوغ الارب للألوسى : ٢/ ٢٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص : ٢/ ٢٣١ .

## المبحث التاســـــع

## الصابئـــــــة

وهى فرقة كبيرة ذكرها الله تعالى مقترنة بالأديان السماوية الكبرى فى قوله تعالى : (( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ))(١) وقال : (( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ))(٢) .

قال الشهرستانى : " قد ذكرنا أن الصبوة فى مقابلة الحنيفية وفى اللغة صبا الرجل إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة "(٣) ويتبين لنا من الآيات السابقة أن الصابئة منهم المؤمنون ومنهم غير ذلك " وفيهم الشقى والسعيد وهؤلاء كانوا قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهم أهل دعوته "(٤) ومؤمنوهم يعتقدون اعتقادا قريبا من اعتقادنا ، " يصومون شهر رمضان ويستقبلون فى صلواتهم

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم : ٦٢ .

(٢) سورة المائدة ، آية رقم : ٦٩ .

(٣) الملل والنحل الشهرستانى : ٢/٢٠٣ نشر جيمس مادن وشركاه لندن وقول الشهرستانى : "فى مقابلة الحنيفية" أى المرادفة لها .

(٤) بلوغ الارب للألوسى : ٢/٢٢٤ .

الكعبة ويعظمون مكة ويرون الحج إليها ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون من القرابات فى النكاح مايحرم المسلمون ... ولهم صلوات خمس فى اليوم والليلة (١) .

ورغم اتفاقهم هذا معنا فى كثير من أمور ديننا إلا أننا نحكم بكفرهم بلا شك لأن موافقتهم لنا ليست عبودية لله رب العالمين وإنما استحسانا منهم لما نفعل لأن أصل دينهم " أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم ومذاهبهم " (٢) فهم على حد زعمهم يأخذون الحق من كل دين ويتركون مافيه من الباطل فتبين لنا من هذا أن مذهبهم قائم على العقل ليس إلا، فهو إلٰهُهُمْ الذى يعبدونه حقيقة وأكثر هذه الأمة فلاسفة والفلاسفة يأخذون بزعمهم مادلت عليه العقول . وهم على مذاهب وأهواء، فمنهم صابئة حنفاء وصابئة مشركون وصابئة فلاسفة يأخذون بمحاسن أهل الملل والنحل الأخرى .

ومنهم من يقر بالنبوات جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلا ومنهم من يُقِرُّبها جملة لاتفصيلا .

ومنهم الروحانيُّون ، " ومذهب هؤلاء - الروحانيين - أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يُتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً وفعلاً وحالةً ... فهم أربابنا

---

(١) بلوغ الارب للألوسى : ٢/٢٢٤ .

(٢) المرجع السابق . نفس الصفحة

وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله وهو رب الأرباب وإله الآلهة[1] والوسائط الروحية التي تقربهم من الخالق الأعظم هي استعداد روحي وجسماني بالتطيب والتبخر وترك المنكرات وبالزكوات وذبح القرابين وغير ذلك مما يصلون معه إلى درجة تجعلهم أهلا للاتصال به مباشرة وهذا ماجعلهم يقولون إنه لاحاجة للانبياء لأنهم بشر مثلنا وصلوا إلى الخالق الأعظم ونحن بواسطة هذه الوسائط الروحية يمكننا أن نصل إلى ماوصلوا إليه .

إذن الفرق بين الصابئة الحنفاء والصابئة المشركين هو أن الصابئة المشركين يعتمدون على الوسائط الروحية التي تقربهم من خالقهم أما الصابئة الحنفاء فيقرون بالوسائط البشرية وهم الأنبياء لتبليغهم أوامر الله تعالى[2] .

ومشركوهم يعتقدون في الأنواء[3] ويعبدونها ويصوّرونها في أصنام ويقرّبون لها القرابين والنذور .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني : ٢/٢٠٣ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني : ٥٦٠ تحقيق محمد بن فتح الله بدران الطبعة الأولى مطبعة الأزهر .

(٣) بلوغ الأرب للألوسي : ٢/٢٢٣ . والأنواء جمع نوء وهو النجم .

(( بسم الله الرحمن الرحيم ))

## خـــاتمة البحـــث

الحمد لله رب العالمين هو ربي عليه توكلت وإليه أنيب اللهـــم اجعل خير أيامنا يوم لقائك ، وخير أعمالنا خواتيمها ، أما بعد ، فأكرر الحمد للـه الذى أعانني على إتمام هذا البحث رغم ما واجهـــت فيه من صعوبة ضيق الوقت ولهذا جاء بحثًا موجزًا لجانب من جوانب الحياة العربية الجاهلية على أرض جزيرة العرب،وإني قد حاولـــت قدر استطاعتي أن أجعله مرآة تعكس للقارئ السلم صورة صافيـــة قدر الإمكان عن الحياة الدينية للعرب الجاهليين الذين تشوشـــت صورتهم في ذهن القارئ بسبب إجحاف الكتاب والمؤلفين فمن المؤلفين - كما سبق أن أشرت - من وضع من قيمة العرب ولم ير إلا وثنيتهـــم ومنهم من تجاوز عن كل سيئاتهم وأخذ يعدد حسناتهم ولقد كان منهجي هو التوسط في ذلك قدر الإمكان . لقد قسمت بحثي هذا إلى بابـــين وخاتمة فالباب الأول جعلته تمهيداً لموضوع البحث فقسمته إلى خمســة فصول جعلت الفصل الأول لإلقاء الضوء على الجزيرة العربية من الجهـة الجغرافية ، وقد قسمته إلى مباحث : فالمبحث الأول تحدثت فيه عـــن موقع الجزيرة ، أما المبحث الثاني فتحدثت فيه عن حدودها وأوردت في ذلك آراء سلفنا الصالح رحمهم الله ، وحاولت التوفيق بينهـــا ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، أما المبحث الثالث فتحدثت فيـه عـــن مناخ الجزيرة العربية ، وأحوال الطقس فيها لأن ذلك مما يؤثـر فـي حياة الاعراب وفي عقائدهم كما بينت ذلك في موضعه .

أما الفصل الثاني فقد أفردته للحديث عن العصر الجاهلي وقسمته إلى مبحثين مبحث تحدثت فيه عن تحديد العصر وأيدت من قال بأنه الفترة السابقة للإسلام بما لا يزيد عن مائتي عام على أعلى تقدير ومبحث تحدثت فيه عن معنى الجاهلية في اللغة والإصطلاح وأوردت في ذلك آراء كثيرة متضاربة، لأن من المؤرخين من فسّر الجاهلية بالجهل الديني فقط لا الجهل العلمي، ومنهم من فهما على العكس أي فسرها بالجهل العلمي لا الديني، ومنهم من توسط في ذلك فوصفهم بالجهل العلمي والديني مع عدم إنكار بعض ما كانوا عليه من شِيَمِ المروءة والفصاحة والبلاغة . وهذه النظرة الأخيرة هي التي أيدتها، ثم بعد سرد كل تلك الآراء رددت عليها كلٍ بحسب رأيه .

أما الفصل الثالث من الباب الأول فقد تحدثت فيه عن الشرك والتوحيد في الجزيرة العربية أيهما كان أولاً ؟ هل الشرك طارئ على التوحيد أم العكس ؟ أنا قررت الأول لأنه هو رأى عامة علماء المسلمين الذين يستندون على الأدلة الدينية من الكتاب والسنة ثم رددت على من قال بأسبقية الشرك . وقد يعترض معترض فيقول ما هو سبب تقديم لفظة شرك على لفظة توحيد ما دمت قد قررت أسبقية التوحيد ؟ فأقول: إن ذلك أمر شكلي ظاهري لا علاقة له بتقديم أو تأخير .

أما الفصل الرابع فقد سلطت الضوء فيه على الجانب السياسي للحياة العربية وإن كان هذا الجانب يحتاج إلى بحث مستقل لسعته

إلا أنني أوجزت الحديث فيه لاعتقادي بأن الحالة السياسية للعرب كان لها دور كبير في تغيير عقائد الناس فالناس على دين ملوكهم وكنت أتمنى أن ألقي الضوء على جانبي الحياة العربية الإجتماعي والمعيشي ولكن ضيق الوقت منعني من ذلك فاقتصرت على الجانب السياسي لما له من تأثير مباشر على الحالة الدينية .

وقد قسمت هذا الفصل إلى مباحث عرضت في المبحث الأول صورة للقارئ الكريم عن حياتهم السياسية .

أما المبحث الثاني فقد تحدثت فيه عن أنظمة الحكم في الجزيرة وبينت أنها كانت نظامين، نظام قبلي دستوره العصبية القبلية، ونظام مدني غلب عليه طابع التعاون بين جميع الأفراد، وكان هذا النظام هو الذي يحكم المدن كمكة ويثرب واليمن .

أما المبحث الثالث فقد تحدثت فيه عن التحالف لأنه من أبرز سمات الحياة السياسية للعرب وقد قسمته إلى أربعة مطالب تحدثت في المطلب الأول عن تعريف التحالف وبيّنتُ أنه مشتق من الحلف الذي هو اليمين والعهد وتحدثت في المطلب الثاني عن دوافع التحالف وهي شعور البعض بالضعف أمام غيره فيلجأ للتحالف مع من هو أقوى منه ليكوّنا بذلك قوة تمنعهما من غيرهما أو قد يتحالف من له ثأر لا يستطيع أخذه بمفرده مع من يساعده على الأخذ بثأره، وتحدثت في المطلب الثالث عن تقاليد العرب في الحلف، فمنهم من كانوا يتحالفون على الطِيب يغمسون أيديهم فيه، ومنهم من يتحالفون على لعق الدم فيغمسون

أيديهم في دم، ثم يلعق كل منهم ما علق بيده، ومنهم من كانوا يتحالفون على النار، وغير ذلك مما يمكن الرجوع إليه في صلب البحث .

وتعرضت في المبحث الرابع لما يترتب على الحلف من الحمية والعصبية والمَنَعَة وحفظ الحق والعهد، ثم في المطلب الخامس تظهر لنا صفة من أبرز صفات العرب ألا وهي إعزازهم للحليف حيث يشعر الحليف عند حليفه بالعزة والكرامة لا يستطيع أحد أن ينتقص من حقه شيئاً، وأوردت في ذلك أبياتاً من الشعر كمثال لمن انتقم من أبناء عمه لأنهم غدروا بحليفه .

أما المبحث الرابع من الفصل الرابع فقد كان للحديث عن حروب العرب وأيامهم وما هو معنى اليوم إذا ورد في الشعر الجاهلي وبينت معتمداً على القرآن الكريم وتفاسيره وأشعار العرب أنه يأتي غالبا بمعنى الوقيعه .

أما الفصل الخامس والأخير من الباب الأول فقد جعلته لتعريف الدين ووضع حد له، هل هو السماوي أم غيره ؟ أم كلاهما ؟ لا سيما وأني قد تعرضت للسماوي وغيره من أديان العرب ، وقسمت هذا الفصل إلى مبحثين أولهما أفردته لتعريف الدين لغةً والآخر أوردت فيه تعريف الاصطلاحيين مسلمين وغيرهم .

أما الباب الثاني من البحث فقد تناولت فيه أديان العرب التي كانت لا تزال موجودة عند مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هناك من يعتقد

بهـا ، وقسمت هذا البـاب كذلك إلى خمسـة فصـول جعلت الفصـــل الأول لليهود يـة وهذا الفصل قسمته إلى ثلاثـة مبـاحث تحدثـت فـــي المبحـث الأول عن اليهود يـة في يثـرب وقسمته بدوره إلى مطالب ثمانيـــة تحدثت في المطلب الأول عن تـاريخ دخول اليهود يثـرب وأوردت في ذلك رأى من قال إنهم جاءوا مع موسى للحج وَتَبَقَّىٰ من تَبَقَّىٰ، ورفضت هذا الرأى وأوردت آراء أخـرى ، ومنهم من يرجـع تاريخهـم إلى جيـش أرسله موســـى عـليه السـلام ومنهـم من يرجعـه إلى عصر غـزو بختنصـر لهم أو إلى اضطهاد الرومـان لهم أو إلى أسبـاب أخرى كالتجـارة وغيرهـا .

ثم تحدثت في المطلب الثانـي عن أشهـر قبائلهم وأنهم بلغوا نيفـــا وعشرين قبيلـة سكنت أماكن متفـرقة من أرض يثـرب ومـا جاورها . وتحدثـت في المطلب الثالث عن حالتهم السـياسـية ومعاونتهـم للقبائل الأخـرى ضـــد بعضهم البعض .

أما المطلب الرابع فقد جعلته للحديث عن حالتهم الاجتماعية وما كان منتشرا بينهم من ظلم وجـور حكامهم كالقطـيون وضياع العدل عنـــــد قضـاتهم مما جعلهم يميلون إلى الرشـوة ، ثم تحدثت في المطلب الخامس عن حالتهم المعيشـية وبيَّنت أنهم بلغوا درجة من الغنى وجمع المـــال فملكوا الآطـام والمزارع وكل وسائل العيش كالتجـارة وصناعة السلاح والقفف وغير ذلك مما جعلهم يسيطرون سيطرة تامة على التجارة ولم أَنْسَ الحديث عن حالة العرب بما تنطـوى عليه من البـؤس والفقر والشقاء في مـــزارع اليهود مقابل لقمة يُقَوِّمُونَ بها أَوَدَهُمْ مقابل غنى اليهودى الذى جعله

يفرض الربا على العربي الفقير فانتشر الربا وفحش مما جعل العرب يفكرون في اتجاه آخر ألا وهو تلك المزارع في محاولة لقلب موازين الحياة في يثرب وانتزاع السلطة من أيدى اليهود ، وذكرت استعانة العرب بالفساسنه على اليهود وهذا كله كان موضوع حديثي في المطلب السادس ألا وهو علاقتهم بجيرانهم من العرب .

أما المطلب السابع فتحدثت فيه عن نزول الأوس والخزرج يثرب ومجاورتهم اليهود فيها واتفاقهم في الكلمة ضد اليهود الذين ما لبثوا أن شعروا بقوة العرب فوضعوا بينهم الدسائس والفتنة التي قامت على إثرها حروب بين حيي العرب لم تنته إلا بمجيء الإسلام .

والمبحث الثاني فقد أفردته للحديث عن اليهودية في اليمن ومبدأ دخولها فيه وقصة التُّبَع مع الحبرين . والمبحث الثالث من هذا الفصل تحدثت فيه عن شعراء اليهود في العصر الجاهلي في الجزيرة العربية وذكرت أشهرهم كالسموأل بن عاديا ء والربيع بن أبي الحقيق وأوردت نماذج من شعرهم مع بعض التعليق والتوجيه عليها .

أما الفصل الثاني من الباب الثاني فقد جعلته للحديث عن النصرانية وقسمته إلى أربعة مباحث تحدثت في الأول عن تاريخ دخولهم الجزيرة وأوردت في ذلك آراء واختلافات وردود والمبحث الثاني ذكرت فيه أسباب انتشار النصرانية في البلاد العربية ويرأس هذه الأسباب التبشير الذى نشط ولا يزال نشيطا في محاولة لتنصير العالم أجمع والمنطقة العربية خاصة وأخص من ذلك منطقة الخليج العربي!!

ثم تحدثت في المبحث الثالث عن أماكن وجد النصارى فيها ونشطوا داخل أرض الجزيرة، وقسمته إلى مطالب تحدثت في المطلب الأول عن نصارى يثرب وفي الثاني عن النصرانية في حضرموت أما الثالث فكان عن النصرانية في البحرين والرابع عنها في اليمامة ونجد ، والخامس عنها في مكة المكرمة .

وتحدثت في المبحث الرابع من هذا الفصل عن القبائل التي دخلتها النصرانية ورددت فيه على القس لويس شيخو الصليبي الذى نسب أكثر القبائل العربية إلى النصرانية بحيث أنك لو قرأت كتابه ستعتقد أن كل العرب كانوا على النصرانية. ونَسَبَ كذلك كل شاعر ورد في شعره إشارة إلى التوحيد-نسبه إلى النصرانية وعَدَّه من زمرة الشعراء النصارى الذين ألَّف فيهم كتاباً يتكون من أجزاء كثيرة، جمع فيه معظم الشعراء العرب ونسبهم إلى النصرانية . ثم تحدثت عن ورقة بن نوفل -رحمه الله- وأوردت شيئاً من شعره بعد ذكر حِواره مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أما الفصل الثالث من الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن الحنيفية وقسمته إلى مبحثين تحدثت في المبحث الأول عن معنى الحنيفية لغة واصطلاحاً وكان جل اعتمادى في تحقيق هذين المعنيين على كتب التفسير فقدمتها على غيرها من كتب اللغة والمعاجم ليس إلا لشرف علماء التفسير ولأن أعلم الناس باللغة وأسرارها هم أعلمهم بكتاب الله .

ثم تحدثت في المبحث الثاني عن أشهر الحنفاء وحاولت قدر الإمكان البعد عما وقع فيه كثير من المؤرخين من الخلط بين الحنفاء وأتباع الديانات الأخرى .

والفصل الرابع جعلته للحديث عن الوثنية وانتشارها في الجزيرة العربية فتحدثت عن الصنم والوثن والنُّصُب وما هو الفرق بين كلٍ منها ، ثم ذكرت أشهر أصنام العرب كمناة واللات والعزى وهبل وغيرها ، وأوردت ما ورد فيه ذُكرُها ، من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي الجاهلي ، وأوردت ما وقع في بعضها من اختلاف كذى الخلصة الذى ذكر الحافظ بن حجر رحمه الله أنه كان اسمًا لعدة أصنام في مواضع متفرقة من الجزيرة العربية .

أما الفصل الخامس وهو الأخير من الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن ديانات متفرقة وذكرت عقائدها وأماكن انتشارها في أرض الجزيرة ومن كان عليها من العرب كالدهرية وعبادة الشمس والقمر والكواكب والملائكة والمجوسية والجن والزنادقة والصائبة .

وإني أسأل الله تعالى في ختام بحثي هذا أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يعيذني والقارئ المسلم من الرياء وأن يجعل معرفة الكفر سببًا في زيادة إيماننا ورسوخ عقيدتنا باللّٰه سبحانه وتعالى .

وأن يجزيَ سعادة الدكتور/يوسف أحمد أبو هلاله خير الجزاء على ما قام به من عون ومساعدة لي بإرشاداته وتوجيهاته التي

أفـدت منهـا كثيرا وأن يجعل ذلك في موازين أعماله يوم القيـامة وأتقدم بالشكر لجميع من قام بمساعدتي في هذا البحث من تصحيح ومراجعة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

يوسف بن عبد الله الحاطي

صباح السبت ٢٢ / ٥ / ١٤٠٦هـ

# فهرس المراجع والمصـادر


* القرآن الكريـم .

* صحيح البخارى .

* صحيح مسلم .

* أحكام أهل الذمة .

ابن قيم الجوزية .

دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ سنة ١٤٠١هـ .

* أخبار مكـة .

أبو الوليد الأزرقى ، تحقيق رشدى الصالح ملحس .

دار الثقافة - مكة ط ٢ سنة ١٤٠٣هـ .

* أشعار الشعراء الستة الجاهليين .

الأعلم الشنتمرى تحقيق د . محمد خفاجى .

مكتبة عبدالحميد حنفى ، ط١ ١٣٧٣هـ .

* الإصابة فى تمييز الصحابة .

ابن حجر العسقلانى .

دار الكتاب العربى - بيروت ( الطبعة والسنة غير متوفر ) .

* الأصنام .

ابن الكلبى ، تحقيق أحمد زكى باشا .

ط ١ ١٩١٤م .

* إعجام الأعلام .

محمود مصطفى .

دار الكتب العلمية بيروت ط ٢ سنة ١٤٠٣هـ .

* الأغانى

أبو الفرج الأصفهانى . تحقيق لجنة من الأساتذة .

دار الثقافة بيروت - طـه ، ١٤٠١هـ .

* الأوائـل .

أبو هلال العسكرى ، تحقيق وليد قصّاب ومحمد المصرى .

دار العلوم ، الرياض ،(الطبعة والسنة غير متوفرة ) .

* الأيام .

أبو عبيدة .

تحقيق د . عادل جاسم البياتى .

دار الجاحظ ، بغداد ،سنة ١٩٧٦م .

* أيام العرب وأثرها فى الشعر الجاهلى .

د . منذر الجبورى .

وزارة الإعلام ، العراق ، سنة ١٩٧٤م .

* الإيناس بعلم الأنساب .

أبى القاسم الحسين بن على بن الحسين .

تحقيق إبراهيم الابيارى .

دار الكتاب اللبانى ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ .

* البداية والنهاية .

ابن كثير .

مكتبة الفلاح الرياض ، الطبعة والسنة غير متوفر .

* بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب .

محمود شكرى الألوسى .

تعليق محمد بهجت الأثرى .

دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة والسنة غير متوفر .

* البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف .

ابن حمزة الحسينى .

تحقيق حسين عبدالمجيد هاشم .

دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، غير متوفر الطبعة والسنة .

* البيئة والمجتمع من خلال الشعر الجاهلى .

أ - على بن عبدالعزيز الحنايا .

رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية اللغة العربية ١٤٠٤هـ .

* تاريخ الأمم والملوك .

محمد بن جرير الطبرى .

دار الفكر للطباعة والنشر - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

* تاريخ التراث العربى .
فؤاد سزكين .
جامعة الإمام ١٤٠٣هـ .

* تاريخ العرب .
فيليب خورى حتى .
ترجمة محمد مبروك .
دار العالم العربى ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

* تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية .
رشيد الجميلى .
مطبعة الرصافي ، بغداد ، ط٢، ١٩٧٦م .

* تاريخ العرب فى العصر الجا هلى .
د . السيد عبدالعزيز سالم .
دار النهضة بيروت ، ١٩٧١م .

* تاريخ اليعقوبي .
محمد اليعقوبى .
دار صادر بيروت ، ١٩٦٠م .

* تاريخ اليهود فى بلاد العرب .
إسرائيل ولفنستون .
مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٢٧ م

* التبشير فى منطقة الخليج العربى .
د . عبدالمالك خلف التميمى .
شركة كاظمة ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢م .

* تفسير غريب الحديث .
ابن حجر العسقلانى .
دار المعرفة ، بيروت ، غير متوفر السنة والطبعة .

* تفسير القرآن العظيم .
ابن كثير .
دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ.

* التيجان من ملوك حمير .
وهب بن منبه .
مكتب الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، غير متوفر الطبعة والسنة .

* جامع البيان فى تفسير القرآن .
محمد بن جرير الطبرى .
بيروت ، دار المعرفة ، ط٢ غير متوفر السنة .

* الجامع لأحكام القرآن الكريم .
القرطبى .
دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٩٧٣م .

* جامع النقول فى أسباب النزول .
ابن خلـيفة علـيوى .
مطابع الاشعاع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٤هـ.

* جاهلية القرن العشرين .
أ . محمد قطب.
دار الشروق ، ١٤٠١هـ.

* الجانب الخلقى فى الشعر الجاهلى .
د . زهدى صبرى الخواجا .
دار الناصر ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٤هـ.

* جمهرة أنساب العرب .
ابن حزم الأندلسى .
دار الفكر - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ.

* الحكمة العربيـة .
د . عبدالله يوسف الشاذلى .
دار سعيد ، مصر ، ط١ ، ١٩٨٢م .

* الحياة العربية فى الشعر الجاهلى .
د . أحمد محمد الحوفى .
دار نهضة مصر ،ط٥ ، ١٣٩٢هـ.

* الحيـوان .

عمر بن بحر الجاحظ .

تحقيق عبد السلام هارون .

مطبعة مصطفى الحلبى ، القاهرة ،ط٢ .

* دروس ونصوص فى قضايا الشعر الجاهلى .

الدكتور عفت الشرقاوى .

دار النهضة بيروت ، ١٩٧٩م .

* الدين .

د . عبد الله محمد دراز .

مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ.

* ديوان حسان بن ثابت .

تحقيق سيد حنفى حسنين .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ.

* ديوان الحماسة لأبى تمام .

شرح التبريزى .

مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ.

* ديوان السموأل .

جمع عيسى سابا .

دار صادر بيروت .

* ديوان قيس بن الخطيم .
تحقيق د . ناصر الدين الأسد .
دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ.

* ديوان النابغة الذبياني .
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
دار صادر ١٩٦٠م بيروت .

* روح المعانـي .
محمود شكرى الألوسى .
دار إحياء التراث العربى . غير متوفر الطبعة والسنة .

* الروض المعطار .
محمد بن عبدالمنعم الحميرى .
تحقيق د . احسان عباس.
مكتبة لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

* زاد المسير فى علم التفسير .
أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى .
المكتب الإسلامى ، ط١ ، ١٩٨٤م .

* سير أعلام النبلاء .
الحافظ الذهبى ،
تحقيق حسين الأسد .
مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ.

* سيرة الرسول .

محمد بن هشا م .

تحقيق مصطفى السقّا وزملاءه .

غير متوفر الطبعة والسنة ودار النشر .

* شرح السنة .

الحسين بن مسعود البغوى .

تحقيق شُعيب الأرناؤوط .

المكتب الإسلامى ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ .

* الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه .

د . يحي الجبورى .

مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ .

* الشعر الجاهلى مراحله واتجاهاته الفنية .

سيد حنفى حسنين .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧١م .

* شعر الحرب فى الجاهلية عند الأوس والخزرج .

محمد العيد الخطراوى .

دار القلم بيروت ، ط١ .

* شعر الحرب فى العصر الجاهلى .

د . على الجندى .

مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ط٣ ، ١٩٦٦ .

* الشعر والشعراء .

أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة .

تحقيق أحمد محمد شاكر .

دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٣٨٦هـ.

* الصحاح للجوهري .

تحقيق أحمد عبدالغفور عطار .

دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م .

* طبقات ابن سعد .

دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٩٨هـ.

* العبر وديوان المبتدأ والخبر.

( تاريخ ابن خلدون ) .

عبدالرحمن بن محمد بن خلدون .

مؤسسة جمال للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ.

* العرب في العصور القديمة .

لطفي عبدالوهاب يحي .

دار النهضة بيروت ط٢ ، ١٩٧٩م .

* العصر الجاهلي .

شوقي ضيف .

دار المعارف بمصر ، ط٧ .

* العقد الفريـــد .

ابن عبد ربه الأندلسي .

تحقيق مجموعة من الأساتذة .

دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري .

ابن حجر العسقلاني .

تصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز .

مكتبة الرياض الحديثة .

* في ظلال القرآن الكريم .

السيد قطب .

دار إحياء التراث ، بيروت ، ط٥ ، ١٣٨٦هـ.

* القاموس المحيط.

مجد الدين الفيروز آبادي .

المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط٤ ، مطبعة المأمون .

* قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي .

عبدالله عبد الجبار ومحمد خفاجي .

ط٢ ، ١٩٥٩م . دار النشر غير متوفر .

* قضايا الشعر الجاهلى فى النقد العربى .
د . إبراهيم عبدالرحمن .
مكتبة القاهرة ، ١٩٧٧م .

* الكامل فى التاريخ .
ابن الأثير .
دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ.

* لسان العرب .
ابن منظور .
دار صادر ، بيروت .

* اللّٰـــه .
عباس محمود العقاد .
دار المعارف بمصر ط٣ ، ١٩٦٠م .

* ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟
أبو الحسن الندوى .
دار القلم ، الكويت ، ط١٣ ، ١٤٠٢هـ.

* مجموع فتاوى ابن تيمية .
جمعها عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد .
الدار العربية للنشر بيروت ،ط١ ، ١٣٩٨هـ.

* المرأة فى الشعر الجاهلى .
د . أحمد محمد الحوفى .
دار الفكر العربى بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢م .

* مسند الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - .

* مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية .
ناصر الدين الأسد .
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

* معجم البلدان .
ياقوت الحموى .
دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ.

* معجم الشعراء للمرزبانى .
تحقيق عبدالستار أحمد فراج .
دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٠.

* معجم قبائل العرب .
عمر رضا كحالة .
مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٠٢هـ.

* المعجم المفهرس لالفاظ الحديث .
مجموعة من المستشرقين .

* المغنى .
عبدالله بن أحمد بن قُدَامة المقدسى .
مكتبة الرياض الحديثة ، ١٤٠١هـ.

* المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام .
د . جواد على .
مكتبة النهضة ، بغداد ، ودار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٦م.

* الملل والنحل .
الشهرستانى ،
تحقيق محمد بن فتح الله بدران .
مطبعة الأزهر ، ط١ .

* نشأة الدين .
على سامى النشَّار .
دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ، ١٣٦٨هـ.

* نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب .
ابن سعيد الأندلسى . تحقيق د . نصرتعبدالرحمن ، ط١ مكتبة الأقصى عمان

* النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية .
لويس شيخو.
مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩١٤م.

* اليهود بين الدين والتاريخ .

أ. صابر طعيمة .

مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، ١٩٧٢م .

(( بسم الله الرحمن الرحيم ))

## فهرس الموضـــوعات


| الموضـــــوع | رقـــم الصفحـــة |
|---|---|
| البـــاب الأول : ( الفصـل الأول ) المقدمة : | أ - |
| الجـزيـرة العربية ..... | ٢ - ١٠ |
| الموقـــع ..... | ٢ |
| الحـــدود ..... | ٣ |
| المنـــاخ ..... | ٩ |
| (الفصل الثاني ) العصر الجاهلي ..... | ١١ - ٢٩ |
| تحديد العصر الجاهلي ..... | ١٢ |
| معنى الجاهليـــة ..... | ١٥ |
| (الفصـل الثالث ) | |
| الشـرك والتوحيـد في الجزيـرة العربيـة ..... | ٣٠ - ٣٧ |
| (الفصـل الرابع ) | |
| حالة العرب السياسـية ..... | ٣٨ - ٥٢ |
| صـورة لحيـاتهم السياسـية ..... | ٣٩ |
| أنظمـة الحكم في الجزيـرة العربيـة ..... | ٤٠ |
| التحـالف ..... | ٤٣ |
| تعريـف الحـلف ..... | ٤٣ |
| دوافـع التحالف ..... | ٤٣ |
| تقاليدهم في الحلف ..... | ٤٤ |
| ما يترتب على الحلف ..... | ٤٥ |
| اعزازهـم للحلـــيف ..... | ٤٦ |

| الموضـــــــوع | رقـــم الصفحـــة |
|---|---|
| معنى اليوم في الشعر الجاهلي ..... | ٤٨ |
| ( الفصل الخامس ) | |
| تعريف الدِّين ..... | ٥٤ - ٥٧ |
| تعريفه لغة ..... | ٥٤ |
| تعريفه اصطلاحا ..... | ٥٦ |
| الباب الثاني : ( الفصل الأول ) : | |
| اليهودية في الجزيرة العربية ..... | ٥٨ - ٩٨ |
| تمهيد ..... | ٥٩ |
| تاريخ دخول اليهود يثرب ..... | ٦٠ |
| أشهر قبائلهم في يثرب ..... | ٦٤ |
| الحالة السياسية ..... | ٦٧ |
| " الإجتماعية ..... | ٧٠ |
| " المعيشية ..... | ٧٣ |
| علاقة اليهود بجيرانهم من العرب ..... | ٧٥ |
| هجرة الأوس والخزج إلى يثرب ..... | ٧٥ |
| فتنتهم بين الأوس والخزرج ..... | ٧٨ |
| اليهود في اليمن ..... | ٨١ |
| شعراؤهم في العصر الجاهلي ..... | ٨٨ |
| السموأل بن عاديـاء ..... | ٨٨ |
| الربيع بن أبي الحقيق ..... | ٩١ |
| كعب بن الأشرف ..... | ٩٣ |
| مقتل كعب ..... | ٩٥ |
| دِثَار بن رفاعه ..... | ٩٧ |

| الموضـــــــوع | رقـم الصفحـــــة |
|---|---|
| ( الفصـل الثاني ) : | |
| النصرانيـة في الجزيـرة العربيـة ..... | ٩٩ - ١٢٩ |
| تـاريخ د خول النصرانية جزيرة العرب ..... | ١٠٠ |
| أسباب انتشـار النصرانية بين عرب الجاهلية ... | ١١٠ |
| أشهـر الأديـــرة ..... | ١١٤ |
| أماكن تواجد النصارى قبل الإسـلام ..... | ١١٥ |
| يثـــرب ..... | ١١٦ |
| حضرموت ..... | ١١٩ |
| البحـــرين ..... | ١٢١ |
| اليمـامـــة ..... | ١٢٢ |
| مكـــــة ..... | ١٢٤ |
| أشهر القبائل التي د خلتها النصرانية ..... | ١٢٥ |
| ورقة بن نوفـل ..... | ١٢٧ |
| ( الفصـل الثالث ) : | |
| الحنيفيـة ... ..... | ١٣٠ - ١٤٤ |
| معنى الحنيفيـة ..... | ١٣١ - ١٣٦ |
| أشهر الحنفاء : | |
| قس بن ساعدة الإيادى ..... | ١٣٧ |
| زيد بن عمرو بن نفيـــل ..... | ١٣٩ |
| خالد بن سنان العبسـى ..... | ١٤٢ |
| أميه بن أبي الصـــــلت..... | ١٤٢ |
| أبو قيس صرمه بن أبي أنس ..... | ١٤٤ |
| ( الفصـل الرابـع ) : | |
| الوثنيـة في الجزيـرة العربية ..... | ١٤٥ - ١٦٨ |

| الموضـــــــوع | رقم الصفحـــة |
|---|---|
| تمهيـد ..... | ١٤٥ |
| عبـادة الأصنـام ..... | ١٤٧ |
| أشهر الأصنـام: | |
| الـــلات ..... | ١٤٩ |
| منـــاة ..... | ١٥١ |
| العـــزى ..... | ١٥٣ |
| إســاف ونائلـه ..... | ١٥٦ |
| ذو الخلصـــه ..... | ١٥٨ |
| هبـــــل ..... | ١٦١ |
| ذو الكفـــين ..... | ١٦٣ |
| رئـــــآم ..... | ١٦٤ |
| وَدّ ..... | ١٦٤ |
| نَهْم ..... | ١٦٦ |
| ضَمَـــــار ..... | ١٦٧ |
| السُّـــعَيْر ..... | ١٦٧ |
| ( الفصـل الخامس ) : | |
| ديانـات متفرقـة ..... | ١٦٩ - ١٨٢ |
| الدهـــريـون ..... | ١٦٩ |
| عبـاد الشـــمس ..... | ١٧١ |
| عبـاد القمـــر ..... | ١٧١ |
| عبـاد الكواكـــب ..... | ١٧٢ |
| عبـاد الملائكـــة ..... | ١٧٢ |
| عبـاد الجـــن ..... | ١٧٤ |
| المجوســـــية ..... | ١٧٥ |